التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 193 السنة 21 - ديسمبر 2023

الغرب وازدواجية المعايير

غزّة الصامدة تتصدر فعاليات «التقدمي»

موقفنا

وحشيّة العدو الصهيوني وهمجيّته

ليست الوحشية والهمجية بصفتين جديدتين على العدو الصهيوني، منذ تأسيس كيانه الغاصب للحق الفلسطيني والأرض الفلسطينية، فتاريخه حافل بالمجازر والمذابح ضد الفلسطينيين، ومليء باسماء البلدات والقرى والمخيمات التي اقترفت فيها كل هذه الجرائم البشعة، فضلاً عن تهجير الفلسطينيين من أراضيهم والاستحواذ عليها، واعتقال وأسر عشرات الآلاف منهم، وممارسة شتى صنوف التعذيب والتنكيل بحقهم، وفي هذا يشترك جيش العدو واجهزة استخباراته وقواته الأمنية وعصابات مستوطنيه في الضفة الغربية والقدس وغيرها، التي بلغت حد الفجور في التنكيل بسكان المخيمات والبلدات الفلسطينية، وتدمير المنازل والقتل العشوائي للمدنيين العزل.

قرابة ثمانية عقود متواصلة وهذا العدو الفاجر مستمر في جرائمه، التي تكشف عن طابعه العنصري والفاشي، وسط تواطؤ الغرب الراعي له والحاضن، والمتستر على جرائمه، منذ وعد بلفور المشؤوم حتى اليوم، حيث يكرر الرئيس الأمريكي الحالي جو بايدن قوله من إنه لو لم تكن إسرائيل قد وجدت «لكان علينا أن نوجدها»، معطياً إياها الضوء الأخضر في ارتكاب جرائمها ضد فلسطين وأهلها، وما كان للبربرية الإسرائيلية أن تتمادى في بربريتها في غزة لولا الدعم الأمريكي السافر الذي تحمل بايدن عناء السفر إلى الكيان للتعبير عنه من هناك، ومثله فعل وزيرا خارجيته ودفاعه، وعلى الخطى الأمريكية سارت كبريات الدول الأوروبية: بريطانيا، فرنسا، ألمانيا وغيرها في إظهار دعمها السافر للحرب الهمجية على غزّة.

لقد أظهر هذا الكيان الوحشي، الهمجي، البربري، ضعفه وهشاشته، بسبب فقدانه الشرعية التاريخية، ولكونه كياناً مصطنعاً دخيلاً على المنطقة، رغم ما يزوّده به الغرب من أسباب الدعم والنصرة، عسكرياً واقتصادياً، حين نجحت الفصائل الفلسطينية في احداث اختراقها غير المسبوق لغلاف غزّة، مصيبة غرور العدو بطعنة لن ينساها، فأراد أن يعوّض عن خيبته بحرب الانتقام على غزّة وأهلها، ولم يتردد في ارتكاب كل الموبقات، خاصة لجهة قتل الآلآف من الأطفال، وبينهم الكثير من الرضع، والنساء والعجائز، وتدمير البيوت على ساكنيها واستخدام الأسلحة الفتاكة كالقنابل الفسفورية، وقصف المدارس التي أصبحت مأوى للمدنيين بعد استهداف منازلهم، وكذلك المستشفيات، دون الاكتراث بسلامة وحياة المرضى والكوادر الطبية، بحجة أن حركة «حماس» تستخدمها كمواقع للتحصن، ورغم سيطرته على هذه المستشفيات لم يقدّم العدو أدنى دليل على صحة ما يكرره من مزاعم باطلة لتبير جرائمه التي يفترض أن يندى لها جبين العالم.

التقدمي

غزّة الصامدة تتصدر فعاليات «التقدمي»

طالب المنبر التقدمي بإلغاء اتفاقية التطبيع مع الكيان الصهيوني، وطرد سفيره وإغلاق السفارة، وهو مطلب جميع البحرينيين في كل الوقفات التضامنية مع الشعب الفلسطيني، مشيراً إلى أن العالم يشاهد استمرار العدوان الصهيوني الهمجي على الشعب الفلسطيني في واحدة من أكبر المجازر الدموية في القرن الواحد والعشرين دون أن يحرك ساكناً، حيث فاقت الهمجية الصهيونية في مستوى إجرامها كل ما سبقتها من جرائم ضد الانسانية.

جاء ذلك في الكلمات التي ألقاها الأمين العام للتقدمي الرفيق عادل المتروك ونائب الأمين العام للشؤون السياسية الرفيق فاضل الحليبي وسواهما من أعضاء المكتب السياسي للتقدمي في الوقفات التضامنية الاسبوعية التي نظمت في مقر «التقدمي»، وكان آخرها الوقفة التضامنية بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، وقد جرت هذه الوقفات بحضور ممثلي الجمعيات السياسية ومنظمات المجتمع المدني والشخصيات الوطنية وممثلي السفارة الفلسطينية.

الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع

من جانبها أكدت الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني على تمسكها بالمطالبة المتكررة للحكومة البحرينية إلغاء كافة اتفاقات التطبيع ومحو أثارها وطرد سفير دولة الكيان الغاصب وسنّ قانونٍ يجرم التطبيع مع هذا العدو المجرم، وإنهاء التواجد العسكري لقوات كافة الدول التي ترعى وتدعم قتل شعبنا العربي في فلسطين وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية، مؤكدة لأصحاب القرار أن عليهم أن يتيقنوا أن الأجنبي المغامر لا يحمي وطناً من أي تهديد، بل مَن سيحمي الوطن هم أبناؤه المزروعون في تراب هذه الأرض، وهم الدرع الحصين ضد أي اعتداء.

جاء ذلك التي الكلمات التي ألقاها ممثلو الجمعية في وقفات التقدمي التضامنية مع فلسطين، وبينهم رئيس الجمعية سامي عبدالعزيز، وكذلك المحامي غسان سرحان، حيث تمت الإشارة إلى أن الجمعية خاطبت مجلس النواب ليقف عند مسؤوليته ويقوم بدوره، فعليه اولاً ان يراجع للائحته الداخلية والدستور البحريني الذي أوجب في حال توقيع أي اتفاق يحول العدو لصديق ان يصدر بقانون يقرُّ من المجلس وفق الآليات القانونية، والذي لم نسمع بأنه تمَّ في ما سُمِّي بالاتفاقات الإبراهيمية المشؤومة.

كتلة «تقدّم»

بدورها أكدت كتلة «تقدّم» البرلمانية على لسان أعضائها الذين شاركوا في فعاليات التقدمي التضامنية على موقفها المبدئي مع الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة، وإدانتها للجرائم الوحشية التي يرتكبها العدو الصهيوني ضد المدنيين في غزة وفي مقدمتهم الأطفال والنساء، وتدميره للمباني السكنية واستهداف المستشفيات والمدارس التي تحولت إلى مراكز إيواء للمدنيين بعد تدمير بيوتهم وتهجيرهم.

كما عبرت عن هذا الموقف كذلك الشخصيات الوطنية التي شاركت في هذه الوقفات وبينهم الدكتور علي فخرو عدد من الناشطين مثل الأساتذة رضي الموسوي ومحمد حسن العرادي

السفارة الفلسطينية

بدورها حرصت السفارة الفلسطينية على حضور هذه الفعاليات سواء في شخص سعادة السفير طه عبدالقادر أو المستشار الأول بالسفارة محمد عبدالعزيز الترك وبقية المسؤولين في السفارة، حيث أكدوا على تقديرهم لموقف التقدمي وكافة القوى والجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني في البحرين في نصرة أشقائهم في فلسطين، وهو الموقف الذي عرف به شعب البحرين منذ نشوء القضية الفلسطينية.

جانب من الحضور

جانب من الحضور

قطاع المراة يتضامن مع النساء الفلسطينيات

بمناسبة الخامس والعشرين من نوفمبر، اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة، أكدّ قطاع المرأة في التقدمي أن المرأة الفلسطينية اليوم تتعرض لأبشع أنواع العنف من قبل الاحتلال من قصف مباشر وهدم منازل على رؤوس ساكنيها وضرب وشتم وتحرش وولادة على الحواجز وصعوبة الوصول إلى المراكز الصحية، وفي المستشفيات شهدن ولادات قيصرية بدون تخدير نتيجة لنقص الدواء وهذا أشد أنواع العنف الواقع على المرأة في ظل صمت الأمم المتحدة، فأين الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة الذي أقرته الأمم المتحدة؟ وأين حقوق الإنسان من كل المجازر والإبادة الجماعية؟

رامي رشيد وفاضل الحليبي

فلسطين في وجدان الشعب البحريني

استضاف المنبر التقدمي في ملتقى الاحد الأسبوع الكاتب الفلسطيني رامي رشيد الذي قدّم ورقة بعنوان «المخاض الأليم للميلاد العظيم للأمة العربية»، بدأ الحديث بدحض مزاعم البعض المشكك بالتوقيت وجدوى العملية التي قامت بها المقاومة الفلسطينية في السابع من أكتوبر.

وشرح الكاتب كل ممارسات دولة الإحتلال والعدوان والأبارتهايد الصهيونية العدوانية تجاه الشعب العربي الفلسطيني ومقدساته الإسلامية والمسيحية، وبأن: «مفهوم استعباد شعب لشعب آخر مدى الحياة لن يستمر». وتطرق الكاتب لانتصار المقاومة على العالم الحر الذي شجع المحتل الغاصب على التطرف وسحق الكرامة الوطنية الفلسطينية، والتنكر للحقوق التاريخية، ومسؤولية الولايات المتحدة وبريطانيا عن هذا التمادي.

كما شرح المحاضر معاناة الشعب الفلسطيني في غزة ومواجهته لآلة الدمار الصهيونية ومقاومته للمشاريع التصفوية من تهجير قسري وتطهير عرقي، وعدد كل المشاريع التي تستهدف قطاع غزة الباسل . واستعرض رشيد ما يجب علينا فعله كفلسطينيين وعرب لمواجهة حرب الإبادة الجماعية، فهذه العاصفة الهوجاء تتطلب مواجهتها متوحدين، مع تأكيد أن المعركة في غزة والهدف الإستراتيجي للعدو هو الضفة الغربية والقدس.

كما تحدث نائب الأمين العام للشؤون السياسية فاضل الحليبي في الندوة التي جاءت بعنوان" فلسطين في وجدان الشعب البحريني"، وبيّن بان: "الشعبين الفلسطيني والبحريني يرتبطان بعلاقة ممتدة منذ عشرينيات القرن الماضي وزاد ارتباطاً وتضامناً بعدما تمّ الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني في أرض فلسطين التاريخية في 15 مايو 1948، عام النكبة الذي قُتل وشُرد وهُجر منها الشعب الفلسطيني"، وتابع: "ذلك العام خرجت المظاهرات الاحتجاجية ضد قيام الكيان الصهيوني وتعرضت المصالح البريطانية من قبل المتظاهرين في البحرين للضرر، استمرت علاقة الشعب البحريني بالشعب الفلسطيني الشقيق حتى هذه اللحظة على مدار خمسة وسبعين عاماً لم تنقطع".

وواصل الحليبي: "مرت أحداث عديدة منذ الحين، منها تشكيل مجموعة من المتطوعين البحرينيين في عام 1948 من أجل القتال في فلسطين، وكذلك إبَّان فترة العدوان الثلاثي على مصر في عام 1956 من قبل الكيان الصهيوني وبريطانيا وفرنسا، خرج الشعب البحريني في مظاهرات احتجاجاً على العدوان، وعندما تأسست التنظيمات والأحزاب الوطنية في البحرين منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي في البحرين، أقامت علاقات واسعة مع فصائل الثورة الفلسطينية، وطوال تلك السنوات تطورت وتوطدت تلك العلاقات الرفاقية"، وتابع: "كما تطوع العديد من البحرينيين للقتال مع الثورة الفلسطينية ضد الكيان الصهيوني، في فترات مختلفة، منهم استشهاد المقاتل البحريني مزاحم الشتر إبَّان الاجتياح الصهيوني للبنان في عام 1982 وهو يتصدى لقوات الاحتلال الصهيوني في الجنوب اللبناني مع مجموعة فدائية من حركة فتح الفلسطينية".

وقال الحليبي: "كما عاش بعض البحرينيين في بيروت فترة احتلالها في سبتمبر من عام 1982، في الحصار مع المقاتلين الفلسطينيين واللبنانيين، ووصولاً للعام 2002، حيث استشهاد الشاب محمد جمعة الشاخوري بعد تظاهرات أمام السفارة الأمريكية في البحرين، تضامناً مع الشعب الفلسطيني الشقيق واحتجاجاً على الدعم الأمريكي للكيان الصهيوني".

وشدد الحليبي على أن: "البحرينيين يعبرون عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني فيما يتعرض له من مجازر يومية في قطاع غزة، وترجم ذلك التضامن عبر الحشود الأسبوعية في الوقفات والاعتصامات والفعاليات المستمرة منذ اكتوبر، التي طالبت بطرد السفير وإلغاء التطبيع مع الكيان الصهيوني".

فضفضة

أمننا الغذائي

عيسى الدرازي

الإغلاق الكلي الذي تسببت به جائحة كوفيد – 19 دللت على أن الحديث عن ملف الأمن الغذائي لا يعدّ ترفاً أو من الكماليات، لا سيما مع ما يتعرض له العالم اليوم من أزمات دولية عسكرية وسياسية، وانعكاسات ذلك المباشرة على بلدٍ صغير حجماً وقدرات كالبحرين.

وهو ما أكدته لجنة التحقيق البرلمانية بشأن الأمن الغذائي التي أنهت أعمالها مؤخراً، وخلص تقريرها لنتائج لا أحسب بأن أياً من الجهات الحكومية والرسمية غافلة عنها، حيث بيّنت اللجنة لجوئنا لاستيراد أكثر من 90٪ من احتياجاتنا الغذائية، مقابل انتاج محلى لا يتعدى 10٪ فقط. كما توصلت اللجنة لتقدير المخزون الاستراتيجي من الغذاء بأربعة أشهر ونصف الشهر فيما يجب أن يكون معدله الطبيعي لا يقل عن سنة كاملة.

وضعت اللجنة ملاحظاتها واستنتاجاتها في تقرير ضخم فاقت عدد صفحاته الألف صفحة مبينة وضع المخزون السمكي والإنتاج الحيواني والنباتي وسواها من مواد غذائية بات النقاش عنها في عالم اليوم مقروناً بالأمن والاستقرار الاجتماعي بل وحتى السياسي.

في المقابل، سخّرت الوزارات المعنية في الدولة امكانياتها في معرض مراعي الذي فتح أبوابه للجمهور عدة أيام، وبدلاً من أن يكون فرصة لفتح الباب أمام القنوات لتشكيل جبهة وطنية تُعنى بالأمن الغذائي وتخصص الموارد اللازمة لتشجيع المزارع المحلي ومربي الحيوانات الداجنة والراعية والمهتمين بالإنتاج السمكي لتطوير قدراتها أو جمعهم مع مستثمرين محليين تحت سقف واحد وبرعاية من الدولة لتأمين مثلث انتاج متكامل للوقوف على أول درجات تأمين الأمن الغذائي وتحقيق نسب انتاج محلي أعلى مما هو معمول به حالياً وصولاً لمعادلة رابحة لجميع أطراف المثلث؛ ولكن ما حصل هو غير ذلك تماماً، فتحول المهرجان لمعرض فرجة للحيوانات النادرة والمميزة وفقرات ترفيهية، لا تصب فيما ذهب القصد الأساسي من تأسيس هذا المعرض الحيواني الذي لو تمّ استغلاله سنوياً لتحقيق أهدافه الأساسية بدلاً مما هو حاصل لتم اختصار الكثير من الحديث في ملفات عدة تضغط بشدة على حياة المواطن المعيشية من ارتفاع أسعار المواد الغذائية وصولاً لملف البطالة، كلها قضايا يمكن المساهمة في حلحلتها لو تحقق الاستخدام الأمثل لمعرض المراعي السنوي.

وقفة تضامنية مع المرأة الفلسطينية

جانب من الحضور

وقفة حداد على أرواح الشهداء

أكدت النائب عن كتلة «تقدّم» البرلمانية عضو مجلس النواب ايمان شويطر على: "دور المرأة الغزاوية في قدرتها على التحمل والصمود، واضحت هدفاً رئيسياً للاحتلال الذي عجز عن مواجهة المقاومة فصبّ غضبه على النساء والأطفال، وتعلمون أن أكثر من 75٪ من شهداء الاعتداءات الصهيونية من النساء والأطفال في سياسة صهيونية ممنهجة هدفها الإبادة الجماعية والتطهير العرقي واحتلال قطاع غزة بالكامل».

وقالت شويطر في كلمة لها في الوقفة التضامنية مع المرأة الفلسطينية التي نظمها المنبر التقدمي، وأدارتها الرفيقة شذى العصفور، بأنه: "وفقاً لما قدرته الهيئات والمنظمات الدولية وتقارير صادرة عن الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، 700 ألف امرأة وطفلة نزحن ولجأن الى مدارس غوث وتشغيل اللاجئين الأونروا وانتشرن في الشوارع والخيام في ظروف صحية وإنسانية صعبة».

وواصلت: "زاد عدد الأرامل في إضافة أكثر من 1000 أرملة مضطرة أن تعيل أسرهن بعد استشهاد شركائهن الذكور لتكون معاناة مضاعفة تتحملها فقط المرأة في فلسطين. وتأتي مأساة الحوامل في غزة فاضحة كاشفة لضمير العالم المزيف ففي الوقت الذي يجب أن تحظى أي امرأة حامل بالرعاية الصحية فقد غاب الأدنى من الحياة الآدمية».

بدرية المرزوق

من جانبها، دعت رئيس قطاع المرأة في المنبر التقدمي بدرية المرزوق: "المجتمع الدولي والأمم المتحدة إلى تحمل مسؤولياته تجاه وقف هذا العدوان، وفتح المعابر وإيصال المساعدات والإغاثة الطبية بشكل عاجل إلى الشعب الفلسطيني»، وتابعت: «كما ندعو دولنا العربية ومملكة البحرين إلى إلغاء اتفاقيات التطبيع مع هذا العدو ودعم حقوق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة، كما ندعو إلى ملاحقة هذا الكيان قانونياً على ارتكابه جرائم ضد الانسانية في فلسطين أمام المحاكم الدولية».

وأضافت: "نبعث لكم في فلسطين دعمنا الكامل وندين بشدة ما قام به العدوان

إيمان شويطر

الصهيوني من مجازر بحقكم في غزة وندين هذا الهجوم البربري الغاشم الذي ضرب بعرض الحائط كل الأعراف والمواثيق الدولية لتحقيق مآربه في سرقة ما تبقى من أرض فلسطين وتهجير أهلها وتشتيتهم تحت نظر الأمم المتحدة ومجلس الأمن عوضاً عن اتخاذ الإجراءات القانونية لوقفه يلوم الفلسطينيين ويبرر ما تقوم به دوله صهيونية بأنه دفاع عن النفس وكأن الفلسطينيين هم الدخلاء وليسوا اصحاب حق وأرض وليس لهم الحق في الدفاع عن ارضهم المسلوبة المغتصبة».

وأكدت المرزوق على: "حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة وحقه في استعادة أرضه وحق العودة والاستقلال والسيادة الوطنية على أرضه».

إلى ذلك، قالت عضو قيادة الاتحاد النسائي البحريني هاشمية السيد سعيد بأن: "الاتحاد ضمن المؤسسات المنضوية في المبادرة الوطنية ضد التطبيع، إذ يشارك في جميع الفعاليات السلمية والبيانات المنددة بالعدوان والمطالبة بوقف جميع أشكال التطبيع وسحب السفراء، ووجه بدعوة جميع الأطراف الدولية الفاعلة إلى تحمل مسؤولياتها تجاه وقف العدوان الإسرائيلي بشكل فوري وكامل، وضمان فتح الممرات الإنسانية لإيصال المساعدات بشكل آمن ومستدام الى أبناء الشعب الفلسطيني في قطاع غزة».

وأضافت: "كما ندعو الدول العربية بما فيها مملكة البحرين إلى مراجعة الاتفاقيات الإبراهيمية مع العدو الإسرائيلي، ووقف التطبيع معه، وغلق السفارات الصهيونية، وقطع كافة العلاقات الاقتصادية معهم، ونؤكد على اهمية الالتزام المجتمعي بالاستمرار في مقاطعة المنتجات والشركات المُساندة للعدوان».

وواصلت: "نكرر دعوتنا لمؤسسات المجتمع المدني بوقف التعامل التام مع السفارات التي دعمت الاحتلال وساهمت بقتل المدنيين من نساء وأطفال، و العمل بشكل مستمر لدعم القضية الفلسطينية ورفض التهجير القسريّ من أجل منع النكبة الجديدة كما حدث عام 1948، ليكن صوتنا هو صوتهم».

هاشمية السيد سعيد

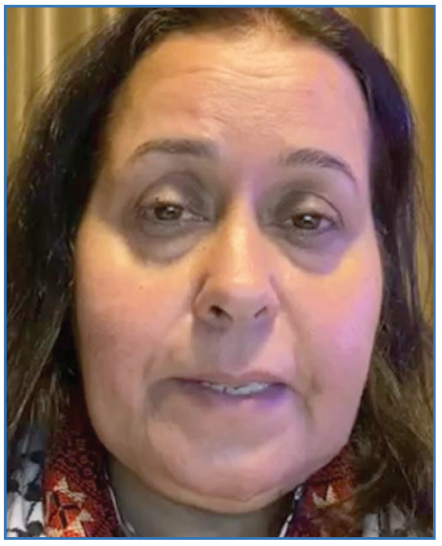
منى النمورة

مريم أبو دقة

شذى العصفور

ودعت السيد سعيد إلى: "رفع مستوى التنسيق على المستوى الوطني بحيث تشمل جميع مؤسسات المجتمع المدني في البحرين وقواه المعبرة عن وجدان وضمير الشعب البحريني وتعزيزه بتواصل مع الحركات الداعمة لشعب الفلسطيني وخاصة حركات المقاطعة مع العدو الصهيوني كحركة (BDS) وغيرها من الحركات الفاعلة في هذا الاتجاه».

شهادات نسائية فلسطينية

واستمع الحضور لشهادة فيديو مسجلة للقائدة الفلسطينية المناضلة مريم ابو دقة عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وهي أول غزية يطاردها الاحتلال الصهيوني، وكان لها دور في تأسيس لجنة المراة الأممية في بلغاريا ومنظمات للمراة للجبهة الشعبية في ليبيا وسوريا، وتعرضت مؤخراً للاعتقال في فرنسا حيث كانت في زيارة لها بدعوة من منظمات نسوية لإلقاء محاضرات حول حقوق المراة الفلسطينية وكفاحها، وتمّ ترحيلها من هناك.

كما شاركت في اللقاء بشهادة مسجلة أيضاً المناضلة منى النمورة عضو المكتب السياسي لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني وعضو المجلس المركزي لمنظمة التحرير وعضو الامانة العامة للاتحاد العام للمراة الفلسطينية.

وأكدت المناضلتنان الفلسطينيتان على صمود وشجاعة وتحيات المرأة الفلسطينية حالياً وعلى مدار عقود، ضد امحتل الصيوني، وحيتا وقوف المرأة والشعب في البحرين مع فلسطين وشعبها، وطالبتا بإيقاف التطبيع مع العدو الصهيوني، ومواصلة كافة أشكال الدعم للمقاومة الفلسطينية في كفاحها الشجاع من أجل انتزاع الحقوق ودحر المحتل.

مشاركات شعرية في أنشطة «التقدمي» التضامنية مع غزّة

عبدالحميد القائد

آمال السمّاك

كريم رضي

إيمان أسيري

نادية الملّاح

السيد أحمد العلوي

تضمنت الفعاليات التضامنية التي أقامها «التقدمي» خلال الأسابيع الماضية مشاركات شعرية مميزة لشعراء وشاعرات من البحرين. ففي اللقائين التضامنيين الأول والثالث شارك الشاعر عبدالحميد القائد والشاعرة آمال السماك بنصوص مختارة، كما كان للشاعر كريم رضي مشاركة شعرية في اللقاء التضامني الثاني مع غزّة وفلسطين، وفي فعالية يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني شارك الشاعر السيد أحمد العلوي.

في اللقاء التضامني مع المرأة الفلسطينية الذي نظمه قطاع المرأة في «التقدمي» قدّمت الشاعرتان إيمان أسيري ونادية الملاّح عدداً من النصوص الشعرية أيضاً. وفي كل هذه الأنشطة يؤكد شعراء وشاعرات البحرين موقفهم الثابت مع قضايا الحرية والعدالة والحق، ونصرتهم لكفاح أشقائنا في غزّة وفي فلسطين عامة.

العدو الصهيوني انتهك كل المحظورات في القانون الإنساني

هجرس: التطبيع مخالف للمشروعية وإلغاؤه يندرج ضمن الرقابة السياسية

قال الباحث القانوني خالد إبراهيم هجرس إن التطبيع الذي عقدته السلطة في البحرين يُخالف مبدأ المشروعية الدستورية، مؤكداً أن القانون رقم (5) لسنة 1963م بشأن مكاتب حظر التطبيع مع الكيان الصهيوني مازال إلى اللحظة ساري المفعول ولم يلغ.

وبين هجرس في محاضرة في «التقدمي» تحت عنوان «قراءة قانونية في الجرائم الصهيونية»، أن الفقه الدستوري يُجمع على عدم جواز تعارض القرار السيادي مع النص القانوني؛ لأن هذا الأخير أرفع في درجة الهرم التشريعي، وعليه عند وجود مثل هذا التعارض يُرجح غالب الفقه أن القرار السيادي يُصبح منعدماً ويُصنف كعمل مادي لا قانوني، إذ إن القرار السادي لا يكون باطلاً باعتبار البطلان حالة مرتبطة من ناحية النتيجة بالطعن القضائي الإداري في القرارات العادية، والقرار السيادي مُحصن من هذه الجوانب فلا سبيل إلى البطلان هنا.

وأكد الباحث أن الطريقة القانونية الوحيدة لإلغاء التطبيع عن طريق الرقابة السياسية التي تكون من البرلمان، مصححاً مفهوماً شائعاً عند بعض النواب الذين يتذرعون بعدم جواز استخدام الأدوات الدستورية في ملف التطبيع لأنه من أعمال السيادة، إذ قال إن "هناك فرقاً بين التدخل في إصدار القرار السيادي الذي يُعد تعدياً على السلطات وبين مراقبة القرار السيادي ونتائجه من قبل البرلمان والذي يُعبر عن صميم عمل السلطة التشريعية في المجال الرقابي"، مشدداً على أن النواب لا يراقبون أعمال السلطة التشريعية مراقبةً قضائية تتمثل في كون هذه السلطة قد طبقت القانون أو تجاوزت القانون، إنما لهم دور أكثر تفصيلاً في الرقابة يُسمى بمراقبة الموائمة التي تعني مدى تطبيق القانون بأعلى درجة ممكنة من المنفعة والجودة في التطبيق وذلك لصالح الشعب الممثل الحقيقي للسلطة العامة. ونوه هنا إلى أن بعض النواب يعمدون إلى أن يكونوا ذوي عقلية رقابية قضائية ولا يريدون ممارسة الرقابة السياسية التي تكون فعلاً جوهراً للممارسة البرلمانية السليمة.

وعن جرائم الاحتلال الصهيوني في العدوان على الفلسطينيين في قطاع غزة

خالد هجرس

والضفة الغربية، شدد هجرس على أن المتابع للأحداث والراصد للسلوك البربري الصهيوني يجد أن هذا الكيان قد انتهك جل قواعد القانون الدولي الإنساني بشكل خاص باستثناء تلك المعنية بمعاملة الأسرى، وذلك بسبب أنه لم يستطع إلى اللحظة إلقاء القبض على أسير من مجاهدي المقاومة، مستنتجاً أن هذا يُعد ملمحاً واضحاً على الفشل العسكري للعدوان الأخير على قطاع غزة بشكل خاص.

واستعرض الباحث بعض الجرائم والتوصيفات القانونية في خضم العدوان الحالي، إذ بدأ من عند وصف الوجود الصهيوني بالاحتلال وفق النصوص الدولية كالمادة (42) من اللائحة المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب البرية لعام 1907، وهو ما أكده الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيرش الذي علق مؤخراً بأن الشعب الفلسطيني خاضع تحت "احتلال خانق" منذ 56 عاماً. وإذا كان هناك احتلال فبالتالي تكون المقاومة شرعية وهي على شكلين وفق المادتين الأولى والثانية من اللائحة المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب البرية لعام 1907 التي تشترط أن تكون خاضعة لعلاقة رئيس ومرؤوس ولديها شعار وشارة معلومة وتحمل السلاح علناً وتتقيد بقواعد الحرب، وإذا داهم العدو منطقة معينة دون أن يكون لهم تنظيم من هذا القبيل، يمكن أن تتشكل المقاومة بشرط حمل السلاح علناً والتقيد بقواعد الحرب فقط.

وأضاف هجرس أن أحد نتائج شرعية المقاومة حماية المقاتلين وفق قواعد الأسرى بحسب اتفاقية جنيف الثالثة، مشيراً إلى أن الأسير بحسب المادة الرابعة من الاتفاقية ذاتها هو كل فرد من المقاتلين أو مليشيات المقاومة في الداخل والخارج أو أفراد قوات مسلحة يعلنون ولائهم لدولة لا تعترف بها الدولة التي تلقي القبض عليهم أو الأفراد المرافقون للمقاتلين أو الأطقم الملاحية لأحد أطراف الحرب أو الأفراد المدنيين الذين يحملون السلاح علناً لمقاومة الغازي. ونبه الباحث إلى أن الإعلام "المضاد" دائماً يستخدم لفظ رهائن بدلاً من أسرى وذلك لتحقيق الإدانة الدولية على الطرف الذي يأسر المقاتلين على اعتبار أن احتجاز الرهائن جريمة حرب، إذ أن الرهائن بحسب جزء من المادة الثالثة المشتركة في اتفاقيات جنيف الأربع هم؛ كل من يُشمل بالحماية في اتفاقيات جنيف ومع ذلك يتم إلقاء القبض عليهم أو المدنيين الذين لا يشتركون في الأعمال العدائية ولا المجهود العسكري أو الجرحى والمرضى المقاتلين وغير المقاتلين.

وتابع أن القانون الدولي له شق تنفيذي لملاحقة ومحاسبة مرتكبي الجرائم الدولية وهو المعني بالمحكمة الدولية الجنائية التي أنشأتها اتفاقية روما عام 1998م ودخلت حيز التنفيذ في 2002م، مضيفاً أن هذه المحكمة معنية بأربع جرائم على سبيل الحصر هي؛ جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة الجماعية وجرائم العدوان، منوهاً إلى أنها تختص بكونها دائمة وتُطبق على الأفراد من رؤساء دول وقادة عسكريين وسلطة تنفيذية عليا ويمكن تفعيل قواعد التكامل مع النظام القانوني الداخلي في ولايتها، بحيث إن قامت الدول بمحاكمة الأفراد وفق قواعد قضائية جنائية عادلة تنتفي سلطة المحكمة الدولية الجنائية عن المحاسبة والملاحقة.

وفي هذا الخصوص، أشار هجرس إلى أن بعض الدول أعطت محاكمها الداخلية سلطة قضائية لمحاكمة مرتكبي الجرائم الأربع الخاصة بالمحكمة الدولية الجنائية كبريطانيا وبلجيكا، وكذلك مملكة البحرين بموجب المرسوم بقانون رقم (44) لسنة 2018 بشأن الجرائم الدولية، مقترحاً أن يتم تقديم بلاغ للنائب العام البحريني بضرورة محاكمة مجرمي الحرب من قادة الكيان الصهيوني بموجب البند (هـ) من المادة الثانية في المرسوم بقانون الذي تعطي النيابية العامة الحق بتحريك الإجراءات القضائية ضد أي شخص متهم بإحدى الجرائم الدولية ويتواجد على إقليم مملكة البحرين، وذلك عند تواجد أي عضو تنفيذي من حكومة الكيان الصهيوني الحالية في البحرين. ولفت هجرس إلى أن هناك سوابق قضائية في هذا الصدد على المستوى العالمي، إذ أن رئيسة حزب كاديما الصهيوني ووزيرة خارجية الكيان السابقة تسيبي ليفني قد واجهت اتهامات قضائية باعتبارها مجرمة حرب من قبل المحاكم البريطانية في 2009.

واقترح هجرس كذلك إعداد ملف متكامل بجرائم الحرب التي ارتكبها الكيان على القطاع وتسليمها إلى المدعي العام للمحكمة الدولية الجنائية، كذلك ضرورة الاستمرار في المقاطعة باعتبارها فعل ممانعة له أثر نفسي قبل أن يكون له تأثير اقتصادي، وأيضاً الضغط على النواب من أجل تفعيل أدواتهم البرلمانية بشكل فعال لتحريك الأسئلة والاستجوابات ولجان التحقيق في سبيل إلغاء التطبيع وما حمله من اتفاقيات مشؤومة على مملكة البحرين.

محمود ربيع وخليل يوسف

جانب من الحضور

في الحلقة الحوارية: «مشروع قانون الصحافة .. توسيع للحريات أم مزيد من القيود؟»

ربيع: المشروع يقيّد حرية الصحافة والمواقع الإليكترونية وينصّ على غرامات مبالغ فيها

اكّد المحامي محمود ربيع، عضو المكتب السياسي للمنبر التقدمي، أنه لا يوجد مبرر منطقي يحرم الشخص الذي لا يتمتع بالحقوق المدنية والسياسية من تملك موقع الكتروني أو المساهمة في ملكيته وهو شرط ورد في المادة ٦٧ مكرر ٣، من مشروع قانون الصحافة الجديد الذي تنظره حالياً لجنة الخدمات في مجلس النوّاب، أو أن يكون مديراً مسؤولاً عن الموقع الإلكتروني كما ورد في المادة ٦٧ مكرر ٤، فهو قيد غير مبرر بمعاقبة الشخص المحروم من حقه السياسي في ابداء الرأى والتعبير.

وأشار ربيع إلى أن المؤسسة الوطنية لحقوق الإنسان قد تحفظت على ذلك أيضاً في مرئياتها، وحذرت من أن تبني المادة المذكوره مدعاة لتوجيه التساؤلات لمملكة البحرين أثناء مناقشة التقرير الدوري بشأن تنفيذ أحكام العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

جاء ذلك في الحلقة الحوارية التي أقيمت في مقر المنبر التقدمي برعاية تنسيقية الجمعيات السياسية، وأدارها الرفيق خليل يوسف، بعنوان: «مشروع قانون الصحافة.. توسيع للحريّات أم مزيد من القيود؟»، وقدّم فيها ربيع قراءة قانونية في مشروع القانون الجديد، بحضور رئيس لجنة الخدمات في مجلس النوّاب، النائب د. محمد الحسيني، وأعضاء كتلة «تقدّم» البرلمانية: عبدالنبي سلمان، إيمان شويطر، د. مهدي الشويخ، ووجوه صحفية بارزة وبعض مسؤولي المواقع الإليكترونية.

بعض الإيجابيات

في البداية وقف ربيع على بعض الإيجابيات التي تضمنها المشروع الجديد، خاصة لجهة الاكتفاء بعقوبة الغرامة الجنائية وإلغاء الحبس من جميع النصوص العقابية الواردة في القانون لا سيما المادة 68 التي تنص على الحبس لمدة قد تصل الى (6) شهور فيما يتعلق بجرائم التعرض للدين أو الملك أو التحريض على ارتكاب جنايات القتل والنهب والتي استبدلت بالنص على أن القيود الواردة على الحق في التعبير تُفسر في الإطار الضروري اللازم لمجتمع ديمقراطي وفقاً لمبادئ ميثاق العمل الوطني والدستور، ويعد عذراً معفياً من العقاب ممارسة الحق في حرية التعبير في هذا الإطار.

سلبيّات كثيرة

ثمّ عرج على السلبيات الكثيرة التي حواها المشروع، فبالإضافة إلى النص على حرمان من لا يتمتع بالحقوق المدنية والسياسية من تملك موقع الكتروني أو المساهمة في ملكيته، لاحظ ربيع ان المشروع منح للوزير المختص الحق في الغاء التصريح، وهو أمر منتقد ويتعارض من التوجهات الحديثة بالتخفف من القرارات الإدارية وإيكال المهمة للقضاء في ذلك، ويفترض أن الأمر للقضاء بدلاً من الوزير ،بحيث يكون القضاء هو ساحة الفصل في المنازعات بين الوزارة المختصة والصحف وأصحاب المواقع الالكترونية، ويكون للسلطة الادارية المختصة اللجوء الى القضاء المستعجل أو القضاء الموضوعي بحسب الأحوال.

غرامات جنائية مبالغ فيها

كما أشار إلى أن الغرامات الجنائية المقررة مبالغ فيها، وهي فوق طاقة الصحف والصحفيين في حالة تطبيقها عليها، فمثلاً (غرامة 5 دينار آلاف كما في المادة 22 وهي حالة تداول مطبوعات لم يؤذن في تدوالها أو صدر قرار بمبنع تداولها، أو كما ورد في المادة 71 وهي حالة نشر بيان طلبت الوزارة عدم نشره، أو غرامة 10 آلاف كما في المادة (63) وهي حالة الامتناع عن التصحيح خلال المدة، أو غرامة 50 ألف دينار كما في المادة (69) وهي حالة التعرض لدين مملكة البحرين او التعرض لملك البلاد بأي عمل من أعمال الحكومة مع مضاعفة العقوبة في حالة العود).

واكّد ربيع على ضرورة إحالة الاختصاص بنظر قضايا النشر الى المحكمة المدنية هو الخيار الأنسب ذلك لأن الغرامات هي عقوبات جنائية يترتب عليه آثار جنائية، موضحاً، كذلك أن اجازة القانون للمحكمة وقف الصحيفة أو حجب الموقع الإعلاني الالكتروني – مؤقتاً – كما ورد في المادة 78، أمر منتقد حيث يُبقي الباب مفتوحاً بدون مدة زمنية محددة بالضبط لذلك المستحسن تحديد مدة الإيقاف أو الحجب، كما أن القانون قد خلى من طريقة التظلم او الاستئناف على هذا القرار

كما لفت إلى أن القانون يُعاقب بغرامة لا تقل عن ثلاثة آلاف دينار ولا تتجاوز عشرة آلاف دينار كل رئيس تحرير أو محرر مسؤول إن وجد، استمر في إصدار الصحيفة باسمها أو بمسمى آخر رغم تعطيلها أو إلغاء ترخيصها بحكم قضائي، مشيراً إلى أن هذه عقوبة جنائية لمن يستمر بإصدار صحيفة بمسمى آخر، وهي بمثابة – منع أبدي – من ممارسة الصحافة إذا فُهم من هذا النص عدم امكانية اصدار صحيفة مرة أخرى.

استثناء منصّات المجتمع المدني

كما أكّد ربيع على وجود بعض العبارات العامة في القانون، والتي تُحتاج الى تعريف منضبط من قبيل (البلاغات الرسمية م 87)، كذلك عبارة (المواقع الالكترونية الأخرى التي يصدر قرار بتحديدها قرار من الوزير م 67 مكرر)، كما أن المادة 90 المستحدثة نصت على عدم سريان أحكام هذا القانون على المواقع الإعلامية الإلكترونية الخاصة بالوزارات والمؤسسات والهيئات العامة وغيرها من الجهات الحكومية والجهات الرسمية في المملكة، وكان يجب شمولها المواقع الالكترونية للجمعيات السياسية ومؤسسات المجتمع المدني والنقابات العمالية لذلك، حيث انها لا تنشر إلا تلك الأخبار المتعلقة بنشاطها وفعاليتها، وخضوعها لشروط الترخيص لا ضرورة له.

نقابة جارمكو تستنكر فصل أمينها المالي

استنكرت نقابة عمال جارمكو الاستهداف المنهج الذي تمارسه إدارة الشركة اتجاه اعضاءها والاجراء غير القانوني وغير المبرر الذي اتخذته إدارة الشركة بفصل الأمين المالي للنقابة خلال إجازته، حسبما جاء في بيان النقابة.

واعتبرت النقابة في بيانها بأن ذلك:» انتهاك واصح وصريح للحرية النقابية المكفولة قانوناً ودستوراً ومخالفة لقانون حرية الانضمام للمنظمات النقابية والعمالية والاستمرار فيها والانسحاب منها»، وتابعت: «كما لا يجوز أن يتخذ من العمل النقابي ذريعة للتمييز في الاستخدام أو التأثير على العمال».

واعربت النقابة عن إدانتها لمسلسل التمييز والانتهاكات والتجاوزات الأخيرة الذي انتهجتها إدارة الشركة، كما عبرت عن رفضها الشديد للعبث الجاري لمقصلة العقوبات وقطع الارزاق بالفصل التعسفي الذي يهدد ممثلي العمال وأمنهم واستقرارهم الوظيفي.

وأكدت النقابة بأن قرار فصل الأمين المالي مخالف للقوانين والأنظمة والأعراف، وأسفت للواقع المزري في ظل غياب واضح للروح الوطنية والقيم والأخلاق والضمير المهني والإنساني لدى إدارة الشركة.

وطالبت النقابة بوضع حد لتلك الانتهاكات والتجاوزات وبضرورة وقف سياسة الفصل التعسفي والعمل على إرجاع عضو مجلس إدارة النقابة، كما دعت النقابة الجهات المعنية والمكلفة بحفظ القوانين وصون المصالح والحقوق العمالية للقيام بدورها وتحمل مسؤولياتها القانونية والدستورية والوقف الفوري والعاجل لكافة التجاوزات وحملات التمييز والتشهير ضد النقابة ومنتسبيها، وإلغاء كافة القرارات المخالفة للقانون المتخذة من قبل إدارة الشركة.

القضاء يلزم جارمكو بأداء حقوق عمالها المجمدة منذ 10 سنوات

قضت محكمة التمييز البحرينية في جلستها المنعقدة في الطعون المقدمة بشأن الحكم الصادر من هيئة التحكيم العمالية الذي قضى بأحقّية نقابة شركة جارمكو في طلباتها ومنها احتساب بدل ساعات العمل الإضافي على أساس الأجر الإجمالي واحتساب الفرق للعاملين، بالإضافة إلى إلزام الشركة بنظام الادخار وصرف بدل الحقيبة المدرسية والسلة الرمضانية، وذلك حسبما ذكره المحامي محمد الجشي.

وقال الجشي بأن من ضمن حيثيات حكم محكمة التمييز الذي أوضحت أن المشرع قد نصّ في قانون العمل رقم 36 لسنة 2012 على سبيل للفصل في منازعات العمل الجماعية بأن أسنده إلى الهيئة المنصوص عليها في أحكامه وحيث لا يُعد ذلك بمثابة تحكيم إجباري لا تشمله الضمانات الأساسية للتقاضي؛ لأن تعيين القضاة في هذه الهيئة إنما يتم بداءة بموجب ندب من المجلس الأعلى للقضاء.

وأضافت المحكمة أن قانون العمل المذكور قد نص على جواز الطعن بالتمييز فيما يصدر عن هذه الهيئة وطبقًا للمواعيد والإجراءات المنصوص عليها في قانون محكمة التمييز وهو ما يمثل ضمانة قضائية لأطراف النزاع من ثم تلتفت المحكمة عما أثير من دفع بعدم الدستورية وذلك لعدم جديته فيكون ما خلص إليه الحكم على هذا النحو سائغًا وله أصله الثابت بالأوراق ويكفي لحمل قضائه وفيه الرد الضمني المسقط لاعتراضات الطاعنة، ومن ثم فالنعي بأسباب الطعن يكون على غير أساس. ومن ثم يتعيّن عدم قبوله.

وكانت الهيئة التحكيمية بدأت نظر الدعوى التحكيمية التي أقامها وكيل المحكمة المحامي محمد الجشي منذ عام 2017، إذ قرر في صحيفة افتتاح الدعوى بأن الحقوق المطالبة بها من قبل عمال النقابة حقوق مكتسبة للعمال جرى العمل بها لأكثر من 30 عامًا، وهو وضع قانوني تتحصن بموجبه المنفعة التي حصل عليها الفرد جراء قانون أو قرار من المساس به.

وأضاف الجشي أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتنصّل الشركة عن أدائها دون وجه حق، وذلك إعمالاً بموجب الفقرة الثانية من المادة (4) من قانون العمل، ذلك أنه لما كان الغرض الأساسي الذي يستهدفه المشرع بقانون العمل هو مراعاة صالح العامل وحمايته فلا يجوز الانتقاص من الحقوق المقررة له في هذا القانون، ولكن ذلك لا يمنع من زيادتها سواء بالنص على ذلك في عقد العمل أو بما يقرره صاحب العمل من قواعد لتنظيم العمل في منشأته، إذ كان من المقرر بنص المادة 153 من قانون العمل أنه لا يجوز المساس بما اكتسبه العامل من حقوق بمقتضى أي اتفاقية أو لوائح النظم الأساسية، أو ما جرى عليه العرف أو اعتاد صاحب العمل على منحه للعمال.

«الأيام» – 5 نوفمبر 2023

المحكمة العمالية تحكم لصالح 68 موظف من شركة للتوصيل

حكمت المحكمة العمالية لصالح 68 موظف من شركة للتوصيل، بعد النظر في القضايا المرفوعة من قبل مكتب محامي النقابة عادل المتروك، وتتابع النقابة أكثر من 156 قضية مرفوعة في المحاكم العمالية ضد شركات التوصيل والمقاولات.

وكانت الشركة قد فصلت عدداً من الموظفين منذ شهر أبريل الماضي، وطالبت النقابة بتوفير وظائف مستقرة ولائقة لعمال الشركة، ودفع المبالغ المستقطعة من العمال بدون سند قانوني، واحترام اللوائح التابعة لقانون العمل على أجهزة التطبيقات الذكية، وتوفير أدوات الصحة والسلامة للسواقين.

يشار إلى أن الشركة المعنية تأسست في مملكة البحرين برأس مال قدره 1،5 مليون دينار، وهي شركة مساهمة مقفلة مملوكة من قبل مستثمرين بحرينيين ومستثمرين من مواطني دول مجلس التعاون الخليجي.

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

العامة للدواجن تفصل نائب رئيس النقابة

استنكر مجلس إدارة نقابة الشركة العامة للدواجن الإجراء غير القانوني وغير المبرر الذي اتخذته الإدارة التنفيذية بحق نائب رئيس مجلس إدارة النقابة وفصله من العمل.

وقالت النقابة في بيان لها بأن: «الفصل جاء بحجة واهية ولا يفهم منها سوى الاستهداف النقابي وانتهاك الحريات النقابية التي نص عليها الدستور، بالإضافة إلى مخالفتها لمرسوم حرية العمل النقابي والحماية التي وفرها المرسوم منعاً عن ممارسة أي شكل من اشكال التمييز أو الاستهداف بسبب العمل النقابي».

وأعلن مجلس إدارة النقابة عن تضامنه الكامل مع نائب الرئيس وطالب الإدارة التنفيذية بالشركة بالتراجع عن هذا القرار المتعسف واحترام العمل النقابي وشخوصه، كما أكد رفضه لسياسة الترهيب التي تمارسها الإدارة التنفيذية بحق أعضاء إدارة النقابة، معتبراً أن هذه السياسة المخالفة للقوانين والتوجيهات الرسمية».

ودعا مجلس الإدارة كل الجهات المعنية بحفظ حقوق العمال القيام بكل ما يلزم للتصدي لهذه الإجراءات غير المبررة قانوناً وعرفاً وغير الإنسانية.

من جحيم غـزّة: كيـف تـودع جيـرانـك وسـط القصـف؟

هيا فريج *

لا أبالغ حين أقول إن أكثر من ثلاثين طائرة حربية اسرائيلية تحوم فوق شمال قطاع غزة، نراها رأي العين على ارتفاع منخفض جدًا، ولك أن تتخيل حجم الضجيج والتلوث السمعي، والصداع الذي نشعر به، والدوار الذي نصاب به، وآلام الأذن بفعل خرق طبلة الأذن من ضجيج اختراق الطائرات لحاجز الصوت، ناهيك عن قنابل الغاز الفسفورية والدخانية التي تأكل أنوفنا، وتكاد تحرق أجسادنا.

والأمَرُّ من كل ذلك هو مئات الغارات في الليلة الواحدة، ومئات الشهداء في الليلة ذاتها. وعلى ما يبدو، فإن الذاكرة تطرد المآسي وتظنها لا تتكرر، إذ كنا نعتقد أن أصعب ليلة مرت علينا هي ليلة الحزام الناري التي كان أقربها علينا في منطقة بير النعجة في جباليا ليلة العيد عام 2021.

لكن المصائب التي نكرهها تُعاد بشكل أعنف وأضخم، وأكثر ضراوة، وكأنهم يستحدثون طرقًا جديدة لقتلنا نفسيًا، وجسديًا، فمشهد الحزام الناري ذاته يتكرر في الليل والنهار، في أكثر من موضع ومكان، والقصف المجنون في هذه الحرب فاق الوصف، وجاوز حد الخيال.

لا تقتصر أساليب القتل الجماعية على صواريخ الطائرات المزعجة تلك، وإنما تتعدد صنوف الإبادة، وتتنوع أشكالها، منها: المدفعية العمياء التي تقف على التخوم، والبوارج البحرية التي تطلق قذائفها دون وعي أو هدف، ومع الاجتياح البري، دخل الرصاص المعركة؛ إذ صار رصاص الاشتباكات القريبة يصلنا في البيوت.

نحن هنا في غزة، في المخيم الذي يأبى أن تتكرر مأساة تهجيره، وتعود أحداث هجرته، نرى الموت كل يوم ألف مرة، هذا الضيف الثقيل السمجُ الذي حلّ علينا منذ أكثر من شهر؛ لينتقيَ أفضلنا، وأنقانا، وأجملنا، وأطهرنا.

وأكذب لو قلت إنّ وجودي لا يتآكل كل ليلة، فمقوّمات صمودي بدأت تتلاشى، مع قصف بيوت جيراننا الآمنين، الذين كانوا ممن رفضوا تغريبتهم إلى الجنوب، بعد أن حاول الاحتلال التعميم على سكان الشمال الانتقال إلى جنوب وادي غزة.

أذكر يومها أننا كنا واقفين جميعًا على شبابيكنا واضعين أيدينا على خدودنا نشاهد مشهد التغريبة الفلسطينية الجديدة، في وجوهنا كثيرٌ من الحسرة، وقليلٌ من الكلام، اكتفينا بالإيماء؛ فقد كانت الحيرة واضحةً، والسؤال واحدٌ: أي مصيبة حلت على هذا الشعب؟ وأي كارثة ستنزل به؟ وماذا ينتظرنا في الأيام القادمة؟

عسى أن لا يصبح جيراني أرقاماً

كانت العائلات تمشي في جماعات، الرجال يجرّون أبناءهم، والنساء تهيم بلا وعي، حاملةً حقائب صغيرة فيها أشياء كثيرة، والأطفال يحملون حقائب مدارسهم مستعيضين عن الكتب ببضعة ملابس، أما الشباب فيحملون حقائب اللابتوبات، وأوراقًا لا قيمة لها في هذه النكسة.

الكل يسير على وجهه لا على رجليه، محاولين التقاط شيءٍ من الأمان في الجنوب (لا ألوم باحثًا عن النجاة) لكنه المشهد الذي يجب أن نرويه للعالم.

كنتُ يومها آنسُ بوجود جيراني الباقين معي، المتفرجين في ذهول للمشهد ذاته، وأترك شباكي مفتوحًا؛ لأؤكد لهم أني باقيةٌ معهم، وألوّح لهم كل صباحٍ بأني مثلهم، لن أرحل.

لكنهم رحلوا قبلي، في البداية رحل أصحاب المخبز، بعد قصف منزلهم، ومخبزهم، وخروجهم جرحى من تحت الركام. ثمّ رحل أصحاب المحلات التجارية، بعد استشهاد خمسة منهم، وانتشال جرحى وناجين من تحت الحفرة العميقة، في قصف المحالّ بالسوق المقابل لمنزلنا.

ثمّ كانت القاضية الليلة الماضية حين قصف الاحتلال منزل جارنا المقابل لنا، واستشهد أبناء وبنات ونساء وأطفال ورجال.. وقد رحلوا قبلي شهداءً عند ربهم. أما المصابون فلن يعودوا، فما عاد هناك مأوىً يؤويهم في المكان؛ فمن لي بأنيسٍ بعدكم؟ ومن لي بجارٍ بعدكم يحفظ سرّي، ولا يكشفَ ستري؟

لا أدري كيف تغمض لي عينٌ بعد أن سمعت أصواتكم الأخيرة، وكيف سيطلعُ عليّ صباحٌ، لأستقبل شمسه في غرفتي المطلّة عليكم، وقد رأيتكم مضرجين بدمائكم، ملفوفين بستائر الشبابيك البيضاء الناصعة؟

هذه قصتكم أيها الأبطال، سطرتم مجدكم بالدم، واخترتُ أن أنقلها للعالم بكثير من الحزن، وبشيء من المَهابة في الموقف الجَلل؛ علّني لا أكون عبدًا للصمت والانبطاح، وعلّكم لا تكونون أرقامًا في الإحصاءات الرسمية وخبرًا في البيانات الصحفية.

في الصباح، كانت النجاة من حظّنا، واستمرت الحياة بدورتها العادية نفسها، لم يتوقف القصف، وكان المخيم مثل حلقة النار، كل من داخلها مستهدفٌ، والخروج منها مغامرة لا تُحمد عقباها، وقد آثرنا البقاء، مع الدعاء بالسلامة.

"إنك لن تجدي الشمس في غرفة مغلقة" مقولة لغسان كنفاني في قصة قصيرة للأطفال، كتبتها كثيرًا في حكمة اليوم على سبورة المدرسة، وحكيتها مرارًا لطالباتي، مع نصيحة دائمة لهنّ: "افتحنَ شبابيككنّ أيتها الفتيات، واستقبلن الحياة، وعشن الحرية".

فتحت شباكي، لأستقبل شمس الصباح التي تطلع وسط الغبار في وطنٍ مقيّد، ندفع فواتيره بالدم، ألقيت تحية الصباح على البيت المقصوف أمامي، وجدت سيدة من الناجيات تبحث عن بقايا تنفعها من تحت الركام، لا أثر لأي شيء. أستغرب كيف تذيب هذه الأسلحة كلّ شيء، لا وجود لخزانات الأطفال، ولا لغرف الأولاد، ولا لأدوات مطبخ، ولا لملابس نساء، لا معلمَ من معالم الحياة سوى مجموعة من الحجارة المتراكمة التي سيضطر أهلها لهدمها بأيديهم مرة أخرى؛ للبحث عن مفقودين، أو لبنائها مرة أخرى.

مولود جديد تحت القصف

كنا على موعد جديد مع فرد جديد ينضم إلى العائلة، في ظروف هي الأصعب على المستوى الشخصي والأقسى على المستوى الوطني. وشاءت الأقدار أن

تنقطع الاتصالات والإنترنت في تلك الليلة، وفي الصباح أيضًا، لم نستطع الاتصال بأحد وسط الحصار المطبق على شمال غزة.

خرج اخي وسط النار للبحث عن سيارة اسعاف تمر بالصدفة في الشارع، علها زوجته التي جاءها المخاض وحان موعد ولادتها تجد طريقاً لمشفى او عيادة. لا مجال لركوب سيارة مدنية فقد تكسرت شبابيك سيارة عمي بعد قصف البيت المقابل في الليلة الفائتة، كما ان مستشفى العودة والمستشفى الاندونيسي في مخيم جباليا يتعرضان للقصف بشكل مكثف في محاولة للضغط على المستشفى للإخلاء. كان من حسن الحظ ان لدينا طبيبة نساء وولادة في البيت من النازحين استطاعت توليدها في البيت.

استقبلنا مولودة جميلة، لكنهم حرمونا المسرّات، فما عدنا نعرف كيف نفرح بطفلة تخرج من رحم الألم؟ وماذا عسانا نفعل مع طفلة تضجّ بالحياة في بلدٍ تصرخ أطفاله فزعًا من أغوال الموت، وتبكي من وحوش تحمل المتفجرات. استبشرنا خيرًا بإنجاب الفتاة، ودعونا أن تكون سنة نبات وبنات؛ ففي الموروث الشعبي الفلسطيني مثلٌ شهير: "سنة البنات نبات، وسنة الفحول محول"، فقد كانت السنة المنصرمة سنة غلب فيها إنجاب الذكور، أما سنة البنات فهي سنة الخير بإذن الله. ودعوتُ لها في سري أن ترى أيامًا أجمل من أيامنا، وألّا تفتح عينها على بلدٍ محتل تُسلب فيه كل حقوق الطفولة، وأن يكتب لنا الله النجاة ببركة وجودها، وأن تحمينا الملائكة بحمايتها.

وعلى استحياء من دم الشهداء النازف كل ثانية في غزة، فتحت علبة شوكلاتة تأخرتُ في توزيعها على طالباتي، وكانت من نصيب الأطفال الصغار الذين لا يدركون ماذا يفعل بهم أعداء الإنسانية. ولأنّ الحزن قد تملك قلوبنا، لم نتحلقْ بدهشة حول الطفلة، ولم نطلق زغاريد الفرح في استقبالها، ولم تذبح لها "العقيقة"، ولم تطبخ لها الولائم، وحده الألم وليدَ اللحظات.

مع عودة الاتصال والإنترنت، أخبرتُ صديقي البحريني الذي يطمئن على حالي كل يوم، عن هذا الميلاد الجديد، فحدثني عن صديق سوداني له، شعرت زوجته بآلام الولادة في ظل حظر التجول الذي فرضه الجيش السوداني اثر انتفاضة اكتوبر 1964، فخاطب الجنود المتمركزين قرب منزله فوافقوا ببقية من مروءة على نقله وزوجته بالدبابة إلى المشفى. فقلت: يا ليت شعوبنا العربية تحمل شيئًا من شهامة العرب، أو بقية من حميّة الجاهلية، أو قليلًا من مروءة الإسلام، تشعل فيهم ثورة؛ علّها تطفئ لهيب النار المستعرة في غزة، وليتهم ينهضون؛ لينهوا الإبادة الجماعية لأهلهم في غزة، ويقفون وقفة رجل واحد؛ ليرفعوا هذه الغمّة عن أهلهم في غزة، التي اشتدت، وضاقت، واستحكمت حلقاتها. وهذه الحكاية لن تنتهي، ما دام في العمر بقية، وفي الروح نَفَس.

* باحثة فلسطينية من غزة، والمقال
نقلاً عن مدّونة محمد فاضل العبيدلي

وستبقى فلسطين

إبراهيم الهاشمي *

للحزن ألف وجه ووجه، وللألم ألف باب وباب، وللوجع ألف موضع وموضع، وللغطرسة والظلم والجبروت والتعدي وجه واحد يتمثل فيما تفعله إسرائيل الآن على أرض فلسطين، خصوصاً في غزة، حيث يجتمع الحزب والألم والوجع والقهر في مكان واحد.

العالم المتحضر الديمقراطي الداعي للعدل والعدالة لا يرى اليوم إلا بعين واحدة فقدت البصر والبصيرة، يدافع عن حقوق المنحرفين، إلا أنه يعجز عن الدفاع عن المظلومين، فتجتمع ملته مُدينةً المظلوم مدافعة عن الظالم المغتصب، لأنه صنعتها وابن خيانته، ضارباً بكل ما يدعي من مقولات الديمقراطية والعدل والعدالة خانعاً أمام جبروت الصهيونية العالمية ونفوذها.

ما يحدث اليوم من قتل ودمار وترويع وتجويع، كيف لنا أن نصفه أو نتحدث عنه، كيف لنا أن نفسره خصوصاً في ظل الصمت أو التخاذل أو التأييد المبطن وغير المبطن، كيف لنا والأقلام مكسورة، والإعلام مستضعف مهزوم يخاف حتى أن يتنفس.

أتساءل وأنا أشاهد ما يعرض على شاشات التلفزيون والقنوات الفضائية، ومواقع التواصل الاجتماعي، عن أسر أستشهد جلها ولم يبقى إلا رضيع شوهه القصف، أو أسرة فقدت معظم أبنائها وبناتها، عمن تيتمت أو تيتم، أو من ترملت أو ترمل، عما يجتاح قلوبهم وصدورهم الآن، وماذا يمكننا أن نقول لمن سيبقى على قيد الحياة شاهداً على كل هذا الذي يحدث، كيف سنكتب هذا التاريخ في سجل أحداثنا، بماذا وكيف ستنطق الحروف، هل ستكتب بدماء من استشهدوا، أم بتلفيق من اغتصب واعتدى، أم بلسان الصمت.

لم نشهد خذلانا كهذا الخذلان كالذي تعيشه فلسطين الآن، خذلان الصمت وخذلان الحق وخذلان الكلمة وخذلان الموقف.

هل يكفي أن نقول كفى، هل يكفي أن نندد، هل يكفي أن نصرخ أو نبكي، هل يكفي نرفع أيدينا بالدعاء ونحن على أكثر من ذلك أقدر.

إنها أيام قبيحة من أقبح أيام التاريخ البشري، وصورة من أبشع صور التخاذل العالمي، وصورة من أضعف صور الوضع العربي والإسلامي.

فلسطين أرض الميعاد، أرض أولى القبلتين، أرض المعراج، أرض الأنبياء، أرضنا، كل شبر فيها ينطق بعروبتها، وسيبقى اسمها فلسطين، وسيتحقق وعد الله فيها بالنصر والتحري عاجلا أو آجلاً، فهو وعدٌ رباني لا يأتيه الباطل أبداً.

كانت فلسطين وستبقى فلسطين.

* كاتب من الإمارات

مطرقة البرلمان

مأساة غزة...
واقع إقليمي ودولي مغاير

بالنسبة للحرب الدائرة رحاها منذ اكثر من خمسين يوما حتى الآن على أهلنا في قطاع غزّة الذي أصبح مُدمراً بشكل شبه كامل، يمكن للمتابع لمأساوية المشهد هناك أن يلحظ بوضوح التحولات الكبيرة التي أفرزتها هذه الحرب المسعورة، والتي اختلفت في الكثير من صورها عن ما سبقها من حروب، طالما افتعلتها آلة الحرب الصهيونية مدعومة من قبل الدول الإمبريالية الكبرى، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية وغالبية الدول الأوروبية، التي سارعت منذ الأيام الأولى للحرب لتحريك أساطيلها وجنودها وآلتها الإعلامية الضخمة، علاوة على دعمها اللا محدود لجيش الاحتلال بعشرات المليارات والاسلحة النوعية.

عبدالنبي سلمان

كل ذلك يحدث والعالم بأسره يتابع أحدث مأساة انسانية وعمليات إبادة وتطهير عرقي، ربما فاقت في قساوتها كل ما شهده وعرفه العالم بالنسبة للحروب غير المتكافئة في موازينها، فحتى اليوم هناك أكثر من ثلاثة عشر ألف شهيد فلسطيني، بينهم أكثر من ستة آلآف من الأطفال وأكثر من ثلاثة آلاف من النساء، علاوة على الآلاف ممن لا زالوا تحت الانقاض.

تداعيات هذه الكارثة الإنسانية المفتعلة أفرزت حتى الآن واقعاً فلسطينياً وعربياً ودولياً مغايراً في الكثير من وجوهه تجاه التعاطي مع الوضع الفلسطيني برمته، فعلاوة على ما تشهده مختلف العواصم والمدن حول العالم من تظاهرات ومسيرات تضامنية ضخمة مؤيدة للحق الفلسطيني في التخلص من بطش نظام التفرقة العنصرية البغيض هذا، وهي تظاهرات ربما تدلل في حدّ ذاتها على إمكانية المراهنة من الآن فصاعدا على تنامي وعي جماهيري عالمي مختلف، بدأ يتحسس آلام وقضية شعبنا الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وبكل تأكيد ساعدت في ذلك وسائل وأدوات التواصل الاجتماعي المختلفة رغم القيود المفروضة عليها، بالإضافة إلى ما أحدثته ثورة التكنولوجيا العالمية من تحولات كبرى، علينا الانتظار قليلاً لمتابعة المزيد من تأثيراتها بالنسبة للعديد من القضايا التي يشهدها العالم.

الشيء الوحيد الذي بقي حتى الآن دون تغيير إيجابي هو الموقف السلبي واللا إنساني واللا أخلاقي الذي تستمر الدول الكبرى في اتباعه، فارضة أجنداتها ومشاريعها الإجرامية وحروبها القذرة على مقدرات الشعوب والدول، تدعمها في ذلك كل المنظومات العاجزة التابعة لها من هياكل ادارية ومنظمات صورية، طالما شنفت آذاننا بالتباكي على قضايا حقوق الإنسان والتعاون الدولي والاقتصادي!، دع عنك ما أفرزته هذه الكارثة الإنسانية من تخاذل دولي وعربي رسمي فاضح، لا يتسق أبداً مع ضخامة الحدث ولا حتى مع ذلك الزخم الجماهيري العالمي والعربي المندد بالحرب والعدوان الهمجي الصهيوني غير المسبوق، والذي بات يمثل أكبر توتر سياسي وعسكري عالمي في الوقت الراهن.

لقد تناسى العالم الحرب الدائرة في أوكرانيا، وهو يتابع تفاصيل القتل الممنهج في غزة ومدن الضفة الغربية، ولازال الكثير من المتابعين يتوقعون الاسوأ بكل اسف، خاصة ما يتعلق بامكانية توسيع رقعة العدوان وتداعياته بالنسبة لدول المنطقة، بما يدخل معه الصراع العالمي مرحلة جديدة لا يمكن التكهن بمآلاتها.

ربما أغرب ما يمكن استنتاجه جراء تداعيات الكارثة الإنسانية في غزة هو هزال وهشاشة الموقف العربي الرسمي والعجز عن مجرد الاستثمار السياسي الأمثل لكل ما يجري بالنسبة لحاضر ومستقبل المنطقة، خاصة وأنّ هناك مخاوف كبرى حقيقية من تحولات جيوسياسية قادمة يجري التمهيد لها بطرائق مختلفة منذ بداية العدوان على غزة، ليس اقلها ما تعلنه سلطات الاحتلال الصهيوني من ضرورة التهجير القسري لسكّان غزة، والإصرار على إحداث نكبة فلسطينة أخرى، مع تلميحها علناً لإغراءات مالية ضخمة لبعض دول الجوار الفلسطيني لقبول ما تحاول فرصه من واقع جديد أكثر سوءا.

وعلى الرغم من دموية ومأساوية المشهد الفلسطيني، تبقى الأيام والأسابيع المقبلة حبلى بالكثير من المفاجآت والتحولات المنتظرة، لن تهوّن منها صفقات تبادل الأسرى التي ابتدأت بين فصائل المقاومة ودولة الكيان بعد أن عجزت قوات الاحتلال عن اجتثاث ما تواجهه من مقاومة ورفض لتمرير مشاريعها ومخططاتها البغيضة.

(قف)

الإرهاب الإسرائيلي يهـــدد غـــزّة بـــالنـــــووي

أثارت تصريحات وزير التراث الصهيونى الكثير من الجدل، بعد أن قال عميحاي الياهو: إن استخدام القنبله النووية ضد قطاع غزة قد يكون «حلًا ممكنًا» فيما يبدو رسالة تهديد صهيونية، بعد أن وصل جيش الاحتلال إلى طريق مسدود، ولا يبدو أن قيادته ترى مخرجًا قريبًا.

فهد المضحكي

بحسب ما ذكرت جريدة « قاسيون « السورية، ردّ الياهو على سؤال في مقابلة مع راديو «كول بيراما» عما إذا كان ينبغي قصف غزّة بقنبلة نووية بالقول: إن ذلك «يمكن أن يكون أحد الاحتمالات»، وأسهب الوزير في شرح ما قصده، قائلاً: «إن قطاع غزّة يجب ألا يبقى على وجه الأرض"، وإن على إسرائيل إعادة إقامة المستوطنات فيه"، واعتبر أن مصير الأسرى من جنود الاحتلال والمستوطنين يمكن أن يكون "ثمنًا لهذه الحرب"، ليعلن بعدها أن حياة من وصفهم بـ"المختطفين" ليست أغلى من حياة جنود الاحتلال الذين يقتلون في المعارك الحالية. وبخصوص الفلسطينيين الذين تحملوا أقسى أشكال القصف والعدوان منذ 7 أكتوبر قال وزير التراث: "فليذهبوا إلى إيرلندا أو الصحارى، وليتولى الوحوش في غزّة مهمة الحل بأنفسهم".

دعوات عميحاي إلياهو للإبادة الجماعية لم تختلف عن سلوك الاحتلال منذ عام 1948، لكن المثير للانتباه أن هذه التصريحات لاقت "استهجانًا" من قبل بعض سياسيي الكيان وقادة المعارضة، لنشاهد بعدها مسرحية مكشوفة لا تنطلي على أحد. فجمّد بنيامين نتانياهو عضوية الوزير الذي ينتمي لحزب "عوتسما يهوديت" اليميني المتطرف بزعامة إيتارمار بن غفير، ومنعه نتنياهو من حضور اجتماعات الحكومة حتى إشعار آخر. واعتبر كلام الوزير إلياهو "منفصلًا عن الواقع"، وادّعى رئيس الحكومة أن "إسرائيل والجيش الإسرائيلي يتصرفان وفقًا لأعلى معايير القانون الدولي، لمنع إلحاق الأذى بالأشخاص غير المتورطين". كما لو أن العالم لم يشاهد ما فعله جيش الاحتلال من جرائم حرب خلال تاريخه، وخلال الشهر الماضي تحديداً

لم يعد خافيًا على أحد أن الكيان ومنذ بدء عدوانه الوحشي الأخير خسر كثيرًا على مستوى الرأي العالمي، ولم يظهر بموقع "الضحية" رغم كل محاولات الدعاية الصهيونية، ويبدو أن المعركة الصعبة التي يخوضها في القطاع باتت تفرض عليهم مزيدًا من التصعيد والتهديد، وخصوصًا مع الحديث عن إمكانية انخراط لاعبين آخرين بشكل أكبر في المعارك الجارية. فعضو «الكنيست» يفعات بيتون وصف الياهو بالغبي، وأن تصريحاته هذه تدمر جهود "الدعاية الإسرائيلية " حول العالم، لكن ما قاله الياهو لابد أنه يدور في أذهان قادة الكيان المأزوم، لكنهم غير قادرين في اللحظة الحالية الإفصاح عما يفكرون به فعلًا، ويبدو أن هذه المهمة أوكلت إلى الوزير لتكون الرسالة قد قيلت، ولاينفع بعدها تجميد عضويته أو إقالته!

في الأشهر الماضية كان استخدام صفة «المتطرف» لوصف قوى سياسية داخل الكيان، وتحديداً أولئك الذين استعان بهم نتنياهو للخروج من دوامّة الانتخابات المتكررة، لكن المسألة في الحقيقة مختلفة كلياً، إذ رافقت صفة "المتطرف" كل الحركة الصهيونية منذ نشأتها، ولا يمكن الحديث فعلًا عن "متطرفين"، كما لو أن هناك "معتدلين" في مقابلهم. وليس المقصود هنا القول: إن لا فروق بين القوى السياسية داخل الكيان، بل القول إن هذه الفرق ترى مقاربات مختلفة لإدارة الأزمة الوجودية التي يمر بها الكيان، وما يثير الاهتمام هو أن معظم الانتقادات التي وجهت من داخل الكيان لتصريحات إلياهو لم تستنكر فكرة الإبادة الجماعية، أو اللجوء للأسلحة المحرمة دوليًا ضد المدنيين، بل ركزت على أن استخدام هذا السلاح يمكن أن يضرّ بالأسرى الصهاينه داخل القطاع. إذ قالت عائلات الأسرى في بيان تداولته وسائل الإعلام: "نطالب رئيس الوزراء باتخاذ إجراءات فورية ضد أي وزير يرغب في إيذاء المختطفين والمفقودين"، ولم يخرج زعيم المعارضة يائير لبيد في انتقاداته عن هذا الخطاب، إذ اعتبر أن مشكلة التصريحات تنحصر في كونها "تضرّ بعائلات المخطوفين والمجتمع الإسرائيلي وبمكانة إسرائيل الدولية".

الغـــرب
وازدواجية المعايير

أقام الغرب الدنيا وأقعدها، ولعله لم يقعدها بعد، ضد العملية العسكرية التي بدأتها روسيا قبل أكثر من عام في الأراضي الأوكرانية، وأقام هذا الغرب مناحة ما بعدها مناحة على ضحايا ما وصفوه بالعدوان الروسي، واتخذت، وما زالت تتخذ، العقوبات القاسية ضد روسيا، بسبب تلك الحرب، ووصل الأمر حدّ اصدار قرار بإحالة رئيسها فلاديمير بوتين، وهو زعيم دولة لها مكانتها الدولية المرموقة، إلى المحكمة الجنائية الدولية، وجرى تجميد الأرصدة المالية الروسية في البلدان الغربية، بما فيها أرصدة أثرياء روس، والتحفظ على ممتلكاتهم. وفي كلمات لم يبق وجه من أوجه العقوبة والحصارضد موسكو، قانونياً كان أو اقتصادياً أو سياسياً، إلا وشملته تلك التدابير.

ولكن لنرى موقف الغرب من العدوان الإسرائيلي الجاري على المدنيين في غزّة، حيث بلغ عدد القتلى منهم، حتى اللحظة، نحو خمسة عشر ألأف قتيل، والأرقام مرشحة للزيادة وربما إلى التضاعف، حكماً من مجريات العمليات العسكرية التي تشنّها إسرائيل على القطاع، ليلاً ونهاراً، هذا غير أضعاف هذا العدد من الجرحى والمصابين، والكثير منهم باصابات بليغة، في ظرف باتت فيه المستشفيات هناك عاجزة عن علاجهم إما بسبب تعرضها، هي الأخرى للقصف والتدمير، بل واحتلالها وطرد المرضى، بمن فيهم الأطفال الخدج، والكوادر الطبية منها أو بسبب انقطاع الطاقة والكهرباء، ونفاد الأدوية، فضلاً عن حجم الدمار المروع، حيث تحولت المباني المكتظة بالسكان إلى ركام بسبب القصف المستمر بالطائرات والصواريخ، ومع ذلك فإن هذا الغرب يقف موقف المتفرج مما يجري، بل ويجاهر بدعمه لإسرائيل في مواصلة حربها بحجة القضاء على «حماس»، فيما الضحايا هم مئات الألآف من الأطفال والنساء.

مناشدات تنضح بالرياء

حكماً مما نقرأه ونسمعه كل يوم، لا نجد سوى مناشدات خجولة تنضح بالرياء والزيف لحماية المدنيين الأبرياء من فلسطينيي غزة، دون اتخاذ أي اجراء رادع لإسرائيل للتوقف عما يرتكب من مذابح وتدمير للمباني والمستشفيات وتهجير المدنيين، وتعطيل دخول المساعدات الإنسانية التي أرسلتها دول عربية وغير عربية إلى مطار العريش في مصر، وتماطل إسرائيل في السماح لها بعبور معبر رفح نحو القطاع المنكوب، وأكثر من ذلك عطلت الولايات المتحدة، عبر استخدامها للفيتو أكثر من مرة، كل مشاريع القرارات المقدّمة لمجلس الأمن الدولي المطالبة بوقف إطلاق النار والسماح بدخول المساعات الإنسانية.

د. حسن مدن

داء إزدواجية المعايير الغربي ليس جديداً، لا نلحظه فقط عبر المقارنة في الموقف من حرب أوكرانيا والحرب على غزة، وإنما أيضاً في طريقة تعامل هذا الغرب مع هجوم حماس على غلاف غزّة في السابع من الشهر الماضي، وتعامله مع جرائم الحرب التي ترتكب كل ساعة في غزّة على مدار أسابيع.

الأذرع الرقمية
والتضييق على دعم فلسطين

الدعم لا يقف الغرب في موقفه المتواطىء مع العدوان الصهيوني عند حدود الصمت على جرائمه، بل وتقديم العدّة والعتاد والأموال له، بل أن الأذرع الرقمية لهذا الغرب، من منصّات التواصل الاجتماعي، تتمادى في التضييق على المواقف الداعمة للحق الفلسطيني، والمنددة بالعدوان على غزّة، وحجب الكثير من المحتويات الحاملة لهذه المواقف، والحدّ من عدد متابعيها إلى أبعد الحدود، بل وإغلاق حسابات أصحابها، أو تهديدهم بذلك.

اللقاء اليساري العربي يدعو لجعل 29 نوفمبر يوما لوقف الحرب العدوانية على غزّة

كان المنبر التقدمي بين نحو عشرين حزباً وتنظيماً يسارياً عربيا توجهت بنداء إلى كافة القوى اليسارية والديمقراطية الوطنية والعربية والقوى الاممية الشريكة والحليفة والصديقة لتعزيز خيار المقاومة الفلسطينية المشروع، وتحويل يوم 29 تشرين الثاني/ نوفمبر، إلى يوم سياسي وشعبي لفلسطين على المستويات الوطنية والعربية والاممية للدعم والتضامن مع نضال الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية المشروعة ومع مقاومته. والضغط بكل الوسائل من أجل وقف الحرب العدوانية الوحشية على غزة. عبر كل أشكال المبادرات التضامنية السياسية والثقافية والاعلامية والشعبية من المظاهرات والتجمعات والفعاليات والندوات واللقاءات إلى المذكرات والملفات القانونية الموثقة وتقديمها للمحافل الدولية لإرتكاب المحتل الصهيوني جرائم حرب وتطهير وإبادة جماعية ضد الإنسانية في عدوانه على غزة.

جاء ذلك في نداء أصدره اللقاء اليساري العربي حيا فيه الحكومات العربية والاقليمية والدولية التي وقفت إلى جانب القضية الفلسطينية ودعمتها، ومن كل الاحزاب والقوى اليسارية والشيوعية والديمقراطية والحقوقية والمدنية والاجتماعية والاعلامية في تحركاتها السياسية والشعبية وفعالياتها ونداءاتها ومذكراتها ومظاهراتها المليونية في الميادين والساحات على امتداد خريطة العالم من اقصاه إلى اقصاه تأييداً وتضامنا مع القضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة، وفضح أهداف العدوان الوحشي الغاشم الصهيوني– الاميركي – الاطلسي، وتعرية الادعاءات والروايات المفبركة الكاذبة حول "حق الكيان الصهيوني في الدفاع عن نفسه"، والتعامي عن كل جرائم ومجازر الكيان المحتل العنصري التوسعي ومشروع الضم والفرز للضفة الغربية والحملة الاستيطانية المسعورة المتواصلة، وكل ممارساته الوحشية بحق الشعب الفلسطيني التي تستهدف البشر والحجر والشجر على مدى 75 عاما.

زطالب النداء بإعلان وقف فوري للحرب العدوانية الصهيونية – الاميركية على غزة وأراضي في فلسطين المحتلة. وفي جنوب لبنان، ورفع الحصار عن قطاع غزة وفتح المعابر دون شروط، واطلاق كافة الأسيرات والأسرى من السجون الصهيونية وإلى جانبهم المناضل الاممي الرمز جورج عبدالله المعتقل في السجون الفرنسية، والغاء اتفاقات الخيانة والتطبيع مع العدو الصهيوني،واسقاط كافة مفاعيلها الدبلوماسية والسياسية والأمنية والاقتصادية والتجارية، وتعزيز حملة المقاطعة للبضائع والمنتوجات " الاسرائيلية" والاميركية والدول الداعمة للاحتلال الصهيوني.

هل تؤمن بحرية التعبير، أم تؤمن بالغرب؟

في النكتة القديمة من أيام الاتحاد السوفييتي، تجادل روسي وأمريكي عن بلادهما، حيث افتخر الأمريكي بحريّة التعبير قائلاً: أنا أستطيع أن أذهب إلى البيت الأبيض، وأشتم الرئيس الأمريكي، فرد عليه الروسي: وأنا أستطيع أن أذهب إلى الكرملين، وأشتم الرئيس الأمريكي..
واقعًا، لا يوجد شيء اسمه حرية تعبير استنادًا إلى ميثاق حقوق الإنسان، وإنما هي تنشأ ـ كما حدث تاريخيًا في أوربا ـ ضمن مجتمع من أجل إدارة الصراعات بشكل سلمي، والتي لم تحدث إلّا ضمن توازنات سياسية واجتماعيّة فرضتها القوى المتصارعة. وهي خاضعة للتعديل والتحوير، ضمن تلك التوازنات أيضًا.
لا توجد حرية تعبير مطلقة، دون عواقب، إلا بين المرء ونفسه، أو في الطب النفسي.

أحمد رضي

كانت الناس تعبّر عن آرائها قبل ميثاق الأمم المتحدة، مثلما كانت تتحاور بالحجج والبراهين والمنطق، قبل أرسطو. ما الفائدة إذًا من هذا الميثاق، أو هذا الحق؟! فيما هي في الواقع، ليستْ هبة، وإنما تؤخذ بالأضراس والنواجذ، وهي لا تعبّر عن رؤى فرديّة، بقدر ما تعبّر عن تيار اجتماعي. وهي ليستْ عبارة عن سلسلة متوالية من التقدّم أو التحرّر عبر الزمن، فشواهد التاريخ تثبت أنها متقلّبة حسب الوضع. فما كان يمكن قوله يصبح ممنوعًا، والعكس. يمكن أن تتفاجأ من مقدر الحرية في مجتمعات اسلاميّة، في فترات قديمة، ويمكن أن تُصدم بمقدار القمع في مواضيع أخرى. فاعتبار حريّة التعبير قيمة مطلقة، سيصطدم في كل مجتمع بمحرّمات «تابو»، وعلى عكس النكتة السابقة، كان مجرّد اظهار ميول شيوعيّة في خمسينات أمريكا، يعرّض المرء للسجن، أو الطرد من العمل.
مؤخرًا، أصبح هناك في الغرب ما يسمّى "الصوابيّة السياسيّة pc» وهي تعني اللياقة الاجتماعيّة واللغوية في مجتمع متعدد ،بحيث أصبح هناك حساسيّة زائده تجاه خطابات الكراهيّة، أو العنصريّة، إلا أنّ ما يثير التساؤل، هو مقدار الحذر الشديد، والمبالغ به في أحيان كثيرة، في تناول عدّة مواضيع تخص فئات مجتمعيّة، بحيث أصبح النقد شبّه محرّم، وهذا ما يعاني منه ـ على الأقل ـ أصحاب «الكوميديا المرتجلة» غربيًّا، بحيث تصبح أيّة إشارة لهذه الجماعة أو تلك، كما لو كانت خطاب كراهية. رغم أن النقد يدخل في صميم عمل الكوميديا.
لكن هذه الصوابيّة السياسية لم تمنع الاستهزاء بالرسوم الكارتونية على نبي الإسلام، أو حرق القرآن. فالعقلية الغربية.. تعتبر هذا الفعل من ضمن حريّة التعبير في انتهاك المقدسات الدينية، بناءً على تجاربهم السابقة. فيما يصرُّ المسلمون على أنّ انتهاك المقدسات أمر لا يمكن قبوله أو التسامح بشأنه.
ولكنْ المسألة من زاوية أخرى، يمكن اعتبارها ضمن خطابات الكراهيّة، التي تحرّض ضد فئة من الناس، بناءً على انتمائهم الديني. وهذا أمر يمكن للغربي فهمه، لو تمّ تناوله من هذا الباب.
ولكن،،،
إلى أيّ حد، سيعتبر أي نقد ديني/ أو مذهبي/ سياسي .. ضمن خطاب الكراهية والاستفزاز أم ضمن حرية التعبير؟. وكيف نفرّق بين النقد وبين التحريض على الكراهيّة؟.
هكذا اتهم "البيت الأبيض" إيلون ماسك باعتباره يسمح بخطاب الكراهيّة ومعاداة الساميّة على منصة إكس، حيث سارع الأخير لاعتبار أن مجرّد الحديث عن انهاء الاستعمار أو تحرير فلسطين.. جزء من معاداة الساميّة.
إنني أتفهم هذا القانون ضمن النطاق الغربي، ولكن تعميمه على مجمل الكوكب، ليس ذو معنى. فهو نتاج ظروف تاريخيه أوروبية. فما الذي يجعله ملزما لبقية الدول، وهي لا تعيش في فضاءه التاريخي والثقافي؟ اعني، بدلا من إنكار تهمة معاداة السامية، الأجدر هو نسف السؤال باعتباره غير مطروح. ولتوضيح الفكرة ... فلنتخيل أوروبا امرأة غريبة تجلس بقربك في الباص ومستغرقة في أحلام يقظتها حيث تتسلسل في ذهنها فكرة تلو الاخرى، ثم تسألك فجاة: هل سرقت القطّة؟ بالطبع لن تجيبها: لا ولن تنكر. لأنك لا تعرف عن أي قط لعين تتحدث، وإنما ستقول: ما مشكلتك يا امرأة؟ أي ستوجه الاستجواب إليها. هذا لا يعني أنه قد لا يوجد تمييز ضد اليهود في المجتمعات الإسلامية. مثلهم مثل أي جماعات أخرى. ونسميه تمييزا ... لكن معاداة السامية هي حكر على الغرب فقط، وضمن فضاءه الثقافي.
وللمفارقة، سنجد أنّ كثيرًا من داعمي اسرائيل البيض، هم من معادي الساميّة، ولكنهم يلتقون معها برجماتيًّا، حيث يتمّ التخلص من يهود اوروبا، وبالضد من لاجئي الشرق الأوسط الوافدين الجدد إليها.
الأكيد أن كل مجتمع لديه محرّمات على القول، تهدف إلى تثبيت الاستقرار ومنع الفتنة. بل وتثبيت العقل أيضًا، فلا يمكن أن يتمّ السماح لأي ترويج بالبيدوفيليا، أو أكل لحم البشر، إلى آخره.. وإن كان ضمن ـ القول لا الفعل.
إذًا، لا توجد حرية تعبير مطلقة، هذا ما نتفق جميعًا بشأنه. ولكن الخلاف سيبدأ حول من يضع القيود على حريّة التعبير؟.
يفترض أن من يضع الحدود، هو المجتمع نفسه، بكل أطيافه.. بحيث تمنع الاستفزازات وإثارة القلاقل. ولكن المشكلة هي حين يطرب المجتمع لغواية وضع الحدود، تأكيدًا على هوياته المتعددة وثبيتًا لها، بحيث تصبح تلك الحدود معيقة للتقدّم أو إيجاد حلول لمشاكل المجتمع، أو الخروج من نفق الاستفزازات، والاستفزازات المضادة.
فلا يمكن لأي وعي ديني أو اجتماعي أن يتطوّر دون نقد.
فالمبالغة في "الصوابية السياسيّة" تعني أن هنالك مشكلة يتحتّم التستّر عليها، وتجنّب الحديث عنها، وأن بين الجماعات المختلفة مسافات من الحذر والريبة، تمنع تبادل النقد الحقيقي. بل وتقبّل الشتائم المرحة المتبادلة، كما يفعل بعض الأصدقاء المقرّبون مع بضعهم، ولكن تبادل الشتائم برحابة صدر، يحتاج إلى مساواة كاملة.

بصراحة

أوكـــرانيـــا وغـــزّة ... والكيـــل بمكيـــاليـــن

تباكى العالم وتحديداً الأمريكان والأوروبيون على أوكرانيا عندما بدأت العملية العسكرية من قبل روسيا في ٢٤ فبراير ٢٠٢٢، بطلب من المواطنين الأوكرانيين من أصل روسي في إقليم الدونباس. لقد قُتل وجُرح الآلاف في دونيتسك ولوغانسك بسبب الاعتداءات الوحشية لمدة ثمانية أعوام من قبل النازيين الجدد الذين يحكمون في كييف طوال تلك السنوات، وكان هناك العديد من المناشدات من قبلهم إلى القيادة في روسيا لوقف العنف الدموي الممارس ضدهم، على أمل أن يحلّ موضوعهم بعد توقيع اتفاقية مينسك في ٥ ديسمبر ٢٠١٤ من قبل مجموعة الاتصال الثلاثية بشأن أوكرانيا، والتي تتألف من أوكرانيا وروسيا ومنظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE)، بوساطة زعماء فرنسا وألمانيا.

فاضل الحليبي

لم يلتزم الانقلابيون النازيون في كييف بالاتفاقية، بل مارسوا سياسة الأرض المحروقة في دونيتسك ولوغانسك، والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية كانا يغضّان النظر عن جرائم قادة كييف النازيين، وربما شجعاهم على ارتكاب المزيد، يتضح ذلك ما كشفته العملية العسكرية التي بدأت 24 فبراير 2022، من تحشيدات عسكرية واستخباراتية للأوروبيين والأمريكان ضد روسيا "الغازية"، هدفهم واحد هزيمة روسيا وإدخال أوكرانيا في حلف الناتو.

ما يجري في غزة من جرائمَ ومجازرَ دمويةٍ مروعةٍ من قِبل قوات الكيان الصهيوني يشاهدها العالم ولا يستطيع إيقافها حتى من خلال مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم المتحدة، حيث لم يلتزم الكيان الصهيوني بالقرارات الدولية الصادرة من قبله لا في السابق ولا الحاضر، ولن يوافق على أي قرار يصدر ضده، طالما هناك من يقف معه في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، فالإمبريالية الأمريكية وبريطانيا وفرنسا، جميعها تقف معه دائماً، وهؤلاء اليوم شركاء في قتل الفلسطينيين في غزّةَ بصورة مباشرة وغير مباشرة، فأساطيلهم وبوارجهم في البحر الأبيض المتوسط، ووجودهم ليس للنزهة، بل لدعم ومساعدة الكيان الصهيوني في حرب الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة. انكشفت حقيقة دول الاتحاد الأوروبي الذين يدعون بأنهم مدافعون عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والمساواة، لقد سقطوا في امتحان غزةَ، بعد أن ضربوا عرض الحائط القيم الإنسانية والأخلاقية بوقوفهم مع الكيان الصهيوني، فالامبريالية الأمريكية مواقفها واضحة في دعم الكيان الصهيوني في السابق والحاضر والمستقبل .

بالرغم من مواقف أغلب الدول الأوروبية والإمبريالية الأمريكية الداعمة للكيان الصهيوني، خرجت المظاهرات والمسيرات وبمئات الآلاف تنتصر لغزةَ وفلسطين، وتشجب العدوان الصهيوني، بقتل آلاف الأطفال والنساء والشيوخ وارتكاب المجازرِ الدمويةِ من قبل قوات الاحتلال الصهيوني وبمشاركة الأمريكان والأوروبيين معهم، لا يمكن أن تُمحى من ذكراة الشعوب الحرة- وإن حاولت الماكنة الإعلامية الصهيونية بأن تحجب تلك المشاهدات المروعة في وسائل التواصل الاجتماعي وتُضيق على الصحفيين الذين ينقلون حقائقَ ما يجري في غزةَ، حيث قتلت قوات الاحتلال الصهيوني عشرات العاملين في وسائل الإعلام المتعددة الأوجه، بالرغم من كل تلك المضايقات والاعتداءات على الصحفيين، فالأخبار المنتشرة والمنقولة من غزةَ مباشرة، تفضح أكاذيب الكيان الصهيوني وداعميه .

المخجل والمعيب مواقف النظام الرسمي العربي، واتَّضح بجلاء في القمة العربية والإسلامية المنعقدة في الرياض بالسعودية في الحادي عشر من نوفمبر 2023، حيث لم لم تستطع القمة إصدار قرارات قوية تجبر الكيان الصهيوني على وقف إطلاق النار ووقف المجازر الدموية وفتح معبر رفح بشكل دائم وإيصال المساعدات الإغاثية وكل الاحتياجات الضرورية إلى أهالي غزةَ الصامدة. موقف النظام الرسمي العربي ليس مخجلاً ومعيباً بل أكثر من ذلك هناك بعض الأنظمة السياسية العربية المتواطئة مع الأمريكان الداعمين للصهاينة في قتل أطفال ونساء وشيوخ ورجال غزةَ، سوف يسجل التاريخ تلك المواقف المخزية وما فعلته تلك الأنظمة العربية بحق الشعب الفلسطيني في غزّةَ وما فعلته مع شعوبها، فالتخاذل والتآمر كانا عناوين بارزة في تعاطيها مع القضية الفلسطينية.

قَدرُ الشعب الفلسطيني أن يقاوم ويقاتل لكي ينال حقوقه المشروعة أسوة بكل الشعوب التي ناضلت ضد المستعمرين والغزاة وقدمت تضحيات كبيرة من أجل حريتها واستقلالها الوطني، بدماء أطفال ونساء وشيوخ ورجال غزةَ وفلسطين، وسينتصر الشعب الفلسطيني على همجية وبربرية النازيين الجدد في تل أبيب، ويُفشل المخططات والمشاريع الإمبريالية والصهيونية، في غزةَ وكل فلسطين المحتلة.

أقل من (أضعف الايمان)

أعادتني الأحداث الدامية التي نمرّ بها الآن، ولم استخدم تعبير (يمرّ) بها أهل فلسطين، لأني ما زلتُ مع الذين يعتبرون فلسطين قضيتنا وكرامتنا جميعاً، وليس قضيتهم وحدهم، كما نراهم يواجهونها الآن لوحدهم وبشجاعة وصبر أذهلا العالم الغربي المزدوج المعايير، والعالم العربي الذي برع بصمته وقوّة تحمله على السكوت.

سعاد الجزائري *

أحداث غزة أعادتني إلى الأعوام 1978 إلى 1982، إلى بيروت، التي قضيت سنوات هناك تحت حماية الفلسطينيين لنا، نحن الذين طردتنا بلداننا، وهددتنا بالاغتيال لأننا لم نتعلم درس الصمت وعدم الاعتراض، ولأن الاعتراض على الرأي ورصد الأخطاء صار سمة لازمتنا طوال حياتنا، ودفعنا جراء ذلك ثمنه غربتنا بعيداً عن الوطن، وعشنا ثلاثة ارباع حياتنا تحت تسمية غريب او مغترب أو لاجيء سياسي.

لا أحد منا ينسى كيف احتوتنا منظمة التحرير الفلسطينية بفصائلها العديدة آنذاك، ووفروا لنا الحماية والعمل معهم وبين صفوفهم، ودخلنا، رجالاً ونساء، في دورات عسكرية للتدريب على السلاح، لتحقيق حلم الكفاح المسلح مثل غيفارا وكاسترو، لكننا لسنا مثلهما ولم يتحقق حلمنا..

أتذكر آنذاك مقولة الزعيم ياسر عرفات الذي قال يوما: «إن منظمة التحرير الفلسطينية هي واحة لحركات التحرر العربية». ومن عاش في بيروت تلك السنوات سيتذكر هذه العبارة التي رددها الكثيرون ولن ننساها وفاء للفلسطينيين الذين حموا ظهورنا من غدر حكّامنا.

تحت حماية الجناح الفلسطيني استمرت حياتنا التي كانت مهددة بكواتم الصوت من قبل الأنظمة التي غرّبتنا، والتي طاردتنا واغتالت في دروب وحواري بيروت الكثير من اصدقاء ورفاق نضالنا.

اليوم، وأنا أراقب بنفس مخنوق وروح مكلومة أحداث غزة، وأشهد صعود الأرواح الفلسطينية إلى السماء التي ازدحمت بموتهم الجماعي، أشعر بالعار لأني في مكان آمن يمارس فيه الناس حياتهم بشكل اعتيادي، وكأن ما يحصل عبارة عن فيلم أجاد مخرجه في تصوير لقطات متنوعة لأنواع مختلفة من الموت والقتل؛ سواء بالقصف الجوي، أو بطائرات مسيرة، ورمياً من البحر، ثم هدّ العمارات على رؤوس ساكنيها، عدا عن بشاعة قطع الكهرباء والماء عن المستشفيات، ومنع وصول الامدادات والمعونات لسكان غزة، ونحن جميعاً نراقب هذه الأحداث من بيوت دافئة ونظيفة، ثلاجاتنا مليئة بالأكل، وخدمة الإنترنت متوفرة أربع وعشرين ساعة.

بالتأكيد سيقول البعض: هل علينا أن نموت ونجوع مثلهم؟ لا.. ولكن لنكن معهم حقاً، كموقف مؤثر، وكشعوب عربية مجتمعة تفرض رأيها على العالم، ولو لمرة واحدة على الأقل، ليسجل التاريخ هذا الموقف، خير من أن نترك عار صمتنا للأجيال اللاحقة. ترى ألا يشعر الواحد منا بالذنب، وربما بالعار لاننا ننتمي الى (أمّة) قيل عنها خير أمة أخرجت للناس؟!. أي خير هذا ونحن مثل الأمم المتحدة التي تعلّمنا منها إصدار مواقف من قاعات مكيفة ومدفئة لنعرب عبر جمل ركيكة ومخزية ونقول فقط: «نعرب عن قلقنا»... اتركوا اللغة في حالها، لأنكم لا تجيدون لا الإعراب اللغوي ولا الإنساني.

ابنة المناضل تشي غيفارا أليدا، تتساءل في خطابها الداعم لفلسطين: «إننا نبعد عن فلسطين آلاف الأميال، لكني أستغرب وأتساءل، أين العرب الذين يحيطون بفلسطين من كل جانب وهم على مقربة منها؟ اين موقفهم؟». صحيح...أين نحن مما يحدث لأرض تُسلب وشعب يُباد وكاميرات الإعلام تصوّر عن قرب لحظات الموت، وتدقق في أشلاء الذين تقطعوا تحت ركام العمارات والبيوت؟... أين نحن من كل هذا؟ حتى شعوب الغرب تظاهرت احتجاجاً أكثر منا!. إنه صمت القبور، والشعور بالعار، وخزي لا يمكن ان يُمحي أثره عند أجيال وأجيال من الفلسطينيين.

ووسط هذا الصمت الرسمي العربي، أو المتواطىء مع العدو تحت برقع «الوساطة» والمهادنة خوفاً على كراسيهم، تظهر لنا أصوات تهزّ الغرب والعرب، هو الظهور المؤثر والمتمكن لحسام زملط، السفير الفلسطيني في بريطانيا، والإعلامي الفذ باسم يوسف، على شاشات اوروبية مخاطبين الغرب بلغته وبأسلوب متفرد ورائع ورصين، حيث حقق هذان الشخصان تأثيراً تضامنياً مع القضية الفلسطينية لم تحققه الدول العربية مجتمعة في قمتها التي لم تسفر إلا عن ألم أضافي للوجع الذي نعيشه الآن، بل وضعوا الملح على جراح فلسطين.

نحتاج اليوم بشدّة لأمثال زملط ويوسف وغيرهما، لأنهما طبقا القول: «من رأى منكم مُنكراً فليُغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»، وهما أجادا في التأثير بلسانهما حيث غيّرا الكثير في الموقف العام الأوروبي، والذي تجسد في ضخامة المظاهرات التضامنية مع الشعب الفلسطيني، ولاحظنا تزايد عدد المظاهرات مرةً بعد أخرى، لأنهما شرحا، كل بأسلوبه الخاص، القضية بشكلها التاريخي، والمحنة الحالية ومسبباتها، بطريقة يستوعبها حتى الذي لا يعرف ماهية القضية الفلسطينية، وبالتأكيد كان للإعلام الشريف دور في نقل الجرائم التي ارتكبت بحق الأبرياء، بحجة القضاء على «حماس»، التي لم يتم القضاء عليها بل استشهد ويستشهد حتى الآن الآلاف من المدنيين.

ولم يُسلط الضوء حتى في الاجتماعات التي تعرب عن قلقها، على الهدف الكامن وراء هذه الحرب التي بدأت في 7 اكتوبر، مثلاً ازاحة أهل غزة ليمرّ الطريق التجاري الذي سيغير الكثير وسيلغي الكثير، وستدفع بعض الدول الثمن غالياً بسببه، وستقبض بعض الدول ثمناً غالياً بسببه أيضاً...عدا عن تكرار مأساة 1948، والتي بدأت عملياً، فعاد أهل غزة إلى الخيام ومازال العرب ينتظرون نتيجة المحادثات على حساب المقابر الجماعية والإبادة العرقية، ومساجدنا تصيح (الله أكبر) لكن القتل مستمراً والموت يتزايد والدفن صار بالجملة..وقد نكتب جميعنا اسمائنا على أيدي أطفالنا وأحفادنا، بينما الاحتلال يتمدد طولاً وعرضاً، والحكومات تنتظر نتائج المباحثات وما يفصّله الغرب لنا لنلبسه حتى لو كان ثوبا مهلهلاً ورثّاً مطرزا بهزيمة العرب وشجاعة الفلسطينيين.

إن ما يفعله اليوم بعض العرب هو أقل حتى من أضعف الإيمان، لأن بعض القلوب بدّلت دمائها وتغذّت شرايينها من الدم الفاسد.

* كاتبة من العراق

مدينة فقيرة صغيرة تقاوم

سليمان المعمري *

منذ زمن طويل أخبرنا محمود درويش أن غزة لا تتقن الخطابة، وليس لها حنجرة، «مسام جلدها هي التي تتكلم عرقًا ودمًا وحرائق. من هنا يكرهها العدوّ حتى القتل. ويخافها حتى الجريمة. ويسعى إلى إغراقها في البحر أو في الصحراء أو في الدم».

كان هذا في كتابه «يوميات الحزن العادي» الصادر في طبعته الأولى عن مركز الأبحاث الفلسطيني سنة 1973م. واليوم بعد خمسين عامًا ما زالت غزة هي غزة؛ عنوان الصمود الإنساني في وجه الجبروت والطغيان، والدرس المجاني البليغ للصمود، الذي لا يبدو أن أحدًا يود الاستفادة منه! عنقاء المدن العالمية التي تولد من الرماد كل مرة، ورمز التحدي لقوة البطش الغاشمة. ألم يردد الشهيد ياسر عرفات رحمه الله غير مرة في تحديه للتهديدات الإسرائيلية والإملاءات الأمريكية: «اللي مش عاجبه، يشرب من بحر غزة»!

أي قوة يمتلكها أهل غزة! من أين لهم هذا الثبات في وجه الموت والدمار وفقدان الأحبة! وأنا هنا لا أتحدث عن الحرب الحالية فقط، على بشاعتها، بل عن اعتداءات إسرائيل العديدة التي لم تتوقف منذ سنين. على سبيل المثال تكتب الكاتبة الفلسطينية سما حسن في إحدى يوميات العدوان على غزة عام 2014 (نشرتها في كتاب «ضحك ولعب، دموع وحرب») ما يمكن سحبه على عدوان اليوم أيضًا: «في غزة أحسد كل من يموت مرة واحدة، لأن الأحياء يموتون كل لحظة من هول ما يرون ويسمعون ويشعرون ويعيشون. لو عشتم تلك اللحظات الفاصلة بين مغادرة غرفة النوم، وفتح باب الشقة، ونزول الدرج (22 درجة) والوصول إلى بيت الدرج، لعلمتم أن تلك اللحظات هي الموت. الموت الذي لا يأتي ولكنه يمد لسانه في وجهك، وكأنه يقول لك: إلى موعد آخر! أو ما زال أمامي وأمامك فسحة أخرى للعبث!».

كيف أقنعت غزة أهلها بالبقاء فيها كل هذه السنين وهي خارج الحياة تقريبا! كيف صار الغزّاويون التطبيق العمليّ لمقولة: «لا تسأل ماذا يمكن لوطنك أن يفعل لك. بل اسأل نفسك ماذا يمكن أن تفعله لوطنك»! من مفارقات الحياة الساخرة أن يكون قائل هذه العبارة هو رئيس الدولة التي لَطالما كانت معاناة أهل غزة، بل وأهل فلسطين كلهم، بإشرافها ورعايتها، وقتلهم والتنكيل بهم بأسلحتها. إنه جون كينيدي، الذي يردّ عليه أمين معلوف في كتابه «التائهون»: «من السهل قول ذلك حين يكون المرء ملياردير‌ًا، وقد انتُخِب للتو، في الثالثة والأربعين من العمر، رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية! أما حين لا تستطيع في بلدك إيجاد وظيفة، ولا تلقّي الرعاية الصحية، ولا إيجاد المسكن، ولا الاستفادة من التعليم، ولا الانتخاب بحرية، ولا التعبير عن الرأي، بل ولا حتى السير في الشوارع على هواك، فما قيمة قول جون كينيدي؟ لا شيء يُذكر!». ورغم أن ما ذكره معلوف هو من أساسيات الحياة في أي مكان في العالم، إلا أن أهل غزة آمنوا أنها لن تأتي بترك بلادهم، بل بالمقاومة والصبر والثبات على المبدأ، حتى وإن استمر ذلك سنين طويلة، ولذا، فإن أهل غزة اليوم أكثر حرية منا، ومن أمين معلوف نفسه؛ المثقف الكبير الذي لم نسمع له صوتًا واضحًا في إدانة ما يتعرضون له من إبادة جماعية.

يقول درويش إننا نظلم غزة حين نحولها إلى أسطورة، «لأننا سنكرهها حين نكتشف أنها ليست أكثر من مدينة فقيرة صغيرة تقاوم»، ولكن ليعذرني شاعرنا الكبير، إن هذه الصفات الثلاث (فقيرة، صغيرة، تقاوم) هي بالذات ما خلق منها أسطورة. وها هي اليوم أيقونة المقاومة ومجابهة الظلم لدى شعوب العالم، بما في ذلك شعوب الدول التي يدعم ساستها إسرائيل ويوفرون الغطاء العسكري والمالي والأخلاقي لجرائمها. ولا أشك مطلقًا أنها سائرة في طريق تحقيق استشراف المفكر الأمريكي نورمن فنكلستين في كتابه «غزة: بحثٌ في استشهادها» عندما قال إنه في صميم الرأي العام الجماهيري المتعاطف «ثمة حركة تضامن دولية مستعدة وراغبة وقادرة عندما تحين اللحظة أن تعطي غزة كل ما لديها»، وإنه في حال تمت تعبئة أهل غزة، من جهة، والرأي العام العالمي من جهة أخرى، وتم تحفيزه وتنظيمه (وهو ما نراه قد بدأ في التحقق اليوم)، «وإذا كان ثمة قضية تسترشد بالحقيقة، وتتعزز بالقانون، وتتغذى بالفضيلة، وتنحو نحو العدالة، فبوسعها أن تُطلق، كما يبيّن التاريخ، قوة أخلاقية لا يمكن مقاومتها لهزيمة قوة متوحشة ونزع سلاحها وتثبيطها؛ فحينها قد تحدث معجزة صغيرة: سيتمكن شعب غزة على الأقل، وأخيرًا، من التنفس من جديد، وسيتمكن في نهاية المطاف إذا حافظ – وحافظنا جميعًا – على الكفاح، من إنهاء الاحتلال». وما ذلك على أهل غزة ببعيد.

* أديب وإعلامي من سلطنة عمان.

حزب «شين فين» وموقفه من فلسطين

جلال إبراهيم

الحزب الجمهوري الإيرلندي، المعروف أيضًا بإسم «شين فين»، هو حزب سياسي في جمهورية أيرلندا، يروج للقضايا الوطنية والقضايا الاجتماعية اليسارية. يحظى الحزب بشعبية واسعة في أيرلندا، ويتميز برؤيته الداعمة لحقوق الشعوب والعدالة الاجتماعية في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك القضية الفلسطينية.

تعتبر العلاقة بين الحزب الجمهوري الإيرلندي وفلسطين وثيقة ومتينة. فقد قدّم الحزب دعمًا سياسيًا ومعنويًا للقضية الفلسطينية على مدى سنوات طويلة. ويرى هذا الحزب أن الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية يشكل انتهاكًا صارخًا لحقوق الإنسان، ويدعو إلى وقف الاستيطان الإسرائيلي، وإعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم.

على مستوى السياسة الدولية، يسعى الحزب الجمهوري الإيرلندي إلى تعزيز الدعم الدولي للشعب الفلسطيني والضغط على إسرائيل للامتثال للقانون الدولي والقرارات الدولية ذات الصلة. وينادي الحزب بصوت عالي إلى أن إقامة السلام في الشرق الأوسط يتطلب حلًا سياسيًا يلبي مطالب الشعب الفلسطيني.

أما على المستوى المحلي، يعمل حزب الشين فين على توعية الرأي العام الإيرلندي بقضية فلسطين وتشجيع الحوار والتفاهم بين الأطراف المعنية. يُنظّم الحزب فعاليات ومظاهرات لدعم الشعب الفلسطيني ويواصل العمل على زيادة وعي الناس حول القضية والضغط على الحكومة الإيرلندية لاتخاذ إجراءات فعالة لدعم الحقوق الفلسطينية.

في ظل تزايد الاعتداءات الوحشية وجرائم الحرب النكراء للكيان الصهيوني على غزة، والذي نتج عنه سقوط آلاف الجرحى والقتلى من الفلسطينيين، وتدمير المستشفيات والمدارس والأحياء السكنية والبُنية التحتية بأكملها، كثف الحزب الجمهوري الإيرلندي من حضورهِ ووقوفهِ إلى جانب الفلسطينيين. وليس آخرها ما صرحت بهِ رئيسة الحزب "ماري لو ماكدونالد" التي طالبت بالاعتراف بفلسطين ومحاسبة إسرائيل على كل جرائمها البشعة بحق الفلسطينيين.

وقد تقدم الحزب بمقترح برلماني، دعا فيه الحكومة الإيرلندية إلى تقديم التماس إلى المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي لفتح تحقيق في جرائم حرب ضد إسرائيل. كما أنه يدعم اقتراح حزب معارضة آخر يسعى إلى طرد السفيرة الإسرائيلية.

وبالرغم من كل هذه المواقف التضامنية المستمرة من قبل الحزب الجمهوري الايرلندي مع الفلسطينيين ضد دولة الكيان الصهيوني وداعميها من الأميركان والأوربيين، لم يتم تسليط الضوء على مواقف هذا الحزب الشجاع من قبل الفلسطينيين والعرب، ولم يُعط حقه من الإشادة والاحترام والتقدير، والتي يستحقها من دون جدال.

ملحمـــــة غـــــزّة

حميد الملا

غزّة منطقة في فلسطين، من بلد الأنبياء وشعب الجبارين، مهدُ الحضارة، وبوتقةُ الثقافات وملاذ للعاشقين والرائدين والمجددين والحالمين. ثباتك على الحصار أعطى ثماره! حياتك القائمة على الحرمان والمعاناة والظلام والبؤس وعشرات من الحروب والإبادة المعمّمة لم تُثنكِ عن الصمود في وجه الغزاة.

•••

العالم في صمته المريب جعل من الصهاينة وحوشاً تلتهم أجساد صغارها، وتنهش نساؤها، وتقتل رجالها دون عقاب أو تثريب. لماذا تعاملوننا بهذه الطريقة؟ ألسنا كائنات كالآخرين؟

أيها الغرب أو ما تُسمى بالعالم الحرّ المتشدق بحقوق الإنسان سؤال مطروح عليكم ومُريب، فهل من مُجيب.

لماذا جاء تسارع التاريخ بأحداثه العِظام التي طالما سبق وأن تحدّث عنه مفكروكم عن الحرية وحقوق الإنسان معاكساً لأبسط ما تقومون به الآن من دفاع عن الصهيونية والنازيين الجدد في كل مكان؟

•••

لكن التوصيف الصحيح لهكذا مواقف هو إنعدام الحساسية الأخلاقية ذات الجذر المكيافلي، الغاية تبرّر الوسيلة، تتجلى بكل وضوح في وحشية واستبدادية دولكم التي تسمي نفسها العالم الحرّ المتستر بشعارات الديموقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان. كُل شيء إذن كان يسير بالمقلوب، والمشهد أصبح واضحاً كل الوضوح، ولم تعد تنطلي على الشعوب ما تروجونه من شعارات وأرجيف وأكاذيب.

•••

القتل والدمار بدم بارد، جيش مدجج بأعتى الأسلحة الفتاكة، ما يحدث في غزة ألا يحرك فيكم ضمير ويصيبكم بالذهول؟. قلوب متحجرة وإنسانية مفقودة متدهورة.

•••

أجسادً مقصوفة وأخرى محروقة، ممددة في كل ركن ومكان. القصف الإسرائيلي ونظرات عمياء للعالم الحرّ، محاجرُ غائرة وحركات حيوانات متوحشة للولايات المتحدة تودّ التهام ما تبقى من أجساد أطفال غزة. التعطش الذي لا يرتوي للدّم يقود إلى التزايد المعقّد للحرب والإبادة.

•••

إنّها تواريخ بني صهيون القديمة المليئة بالملاحقات، والمجازر وعقائد التعصب والقمع والطرد الجماعيّ المخطط له بعناية. حروب، وحروب إبادة بلاد بكاملها، قنابل ودبابات مباركات من عالم بلا ضمير تُسلم لقادة أيديهم مُلطخة بالدم، طغاة مؤلهين بسور من التوراة وهرطقات بني صهيون.

سلالات تنظيف عرقي أتت من جميع أصقاع المعمورة لتعيث فساداً وتدميراً في أرض فلسطين باسم خليط من الخرافات والأساطير هدفه الإبقاء على اليهود عبيداً لأفكار الصهيونية حول شعب الله المختار وأرض الميعاد أو إسرائيل الكبرى. كلّ حثالات الرّعب والقذارة المتراكمة من مستوطنين أتت إلى أرضك يا قُدس الأقداس ليدنسوها بمقولات طوباوية عن أرض الميعاد كما جاء في سفر التكوين. جنرالات الاحتلال مثلُها مثل الخفّاش، تحتاج أن تتغذّى على الدم البشري، وبخاصة دم الأطفال والأطفال الخُدج على وجه التحديد.

•••

جملة مشهورة لماركس تقول «إن ثقل الأجيال المتوفاة يستمرُّ مثل كابوس في دماغ الأحياء»، فالأحياء فيك أوفياء لدماء الشهداء، فأنت يا غزّة باقية ما بقي طفل يقاوم بحجارة وامرأة تزغرد باستشهاد إبنها ورجل يحمل البندقية ويذود عن أرضه وعرضه ويقاوم. ومع ذلك غريب أمركم يا أطفال فلسطين وغريب بأسكم وشجاعتكم رغم مصائبكم وأوجاعكم، فأنتم صامدون على أرضكم رغم تكالب العالم كله ضدكم. أيُّ شيطان ستهمّهُ دموع طفل أو أم فلسطينية ثُكلى أو عودتكم إلى ما تبقى من خرائب وخراب غزة، لا أحدٍ يبكيك يا أم الشهداء.

•••

هكذا إذن، يجب أن تُكرّس جميع الوسائل لزيادة حدّة المعاناة والبؤس وتعميمها بحيث تدفع الشعب الفلسطيني إلى ترك أرضه وإبعاده بعيداً في أرض الشتات. هذه إذن سلطة الاحتلال الأكثر مكراً وقوّة، أقرب إلى الإنسان الوحش على أخيه الإنسان الأكثر ضعفًا.

•••

المتصهينون العرب، أحدُ ما أدخل فيروساً في نظام تفكيرهم وأغواهم لمساندة الاحتلال بكل ما يملكون من سفالات وتُرهات، هم إذن حثالات هذا التاريخ العربي الذليل، لا ينقصهم حياءاً وهم يرقصون على أشلاء الأطفال ودماء من قتلهم الاحتلال الإسرائيلي بآلاف وآلاف الضحايا الذين سقطوا تحت القصف. العرب المتصهينون لم تكن تنطبع في هُلام مخّهم المتأجج قرارات المؤتمر الصهيوني المنعقد في بازل بسويسرا في العام 1897، واهتمامات مؤسس الصهيونية العالمية ثيودور هرتزل في تجميع التيارات الصهيونية المتفرقة في إطار تنظيمي واحد ولا اطروحات حاييم وايزمان بدمج الصهيونية السياسية بالاستيطان. أعربُ أنتم؟ والله أنا في شكّ، القدس عروس عروبتكم وقُبلة أمتكم. بل، إنكم صيد ثمين للصهيونية والرجعية العربية تباً لكم ولعنة التاريخ عليكم.

•••

اما المناضلون الفلسطينيون، فأنهم ينعمون دائماً بامتياز الغموض، وعندما تعتقد أنّهم ماتوا ينبعثون نضرين بل وأكثر بأساً وشجاعة وقوة مما كانوا في الزمن الذي اعتقد فيه الصهاينة بأنهم أموات عند ربهم يُرزقون. الفلسطيني يفكر بطريقة أخرى ولم يفقد في أكثر لحظاته قسوة مزاجه الرائق ولا ثقته بالمستقبل، يحمل أمل العودة إلى ذاك الوطن الساكن في الوجدان وحبّ التشبث بالأرض وبالحياة. إنّ قدر الفلسطيني لا يسمح له أن يتدخل بفاعلية في دولاب الحظ، نتيجة لخطيئة الاستعمار البريطاني، فقد كان محكوماً بتلك السياسة التي أتت بهؤلاء الأوغاد الصهاينة إلى بيوتهم مما أدى إلى النكبة في العام 1948 وهي السنة التي طُرد فيها الشعب الفلسطيني من بيته وأرضه وخسر وطنه.

•••

من يأسف على الأضرار التي لحقت بغزة في هذا العالم المنافق إذا كانت النتيجة هي دمار شعب يقاوم الغزاة؟ . ألم يسحق رابين وشامير وغولدامائير وآخرهم المجرم النتن ياهو الألاف أثناء حكمهم؟، وطالما استمرّ هؤلاء يحكمون إسرائيل ويتحكّمون بالجيوش وآلة الحرب الفتّاكة لا يمكن التحدث عن السلام، بل عن الحروب الدائمة والمستمرة والتطهير العرقي والجرائم القذرة.

هذه إذن هي سنتهم في الحياة، القتل والتشريد واغتصاب أراضي الغير والاستيلاء على مقدرات شعب مغلوب على أمره لا يملك سوى المقاومة، وإن كلفه ذلك الإبادة والتهجير الجماعي والتشريد القسري.

•••

لمريد البرغوثي الشاعر والكاتب الفلسطيني قول مأثور "العربيُّ المحظوظ هو الذي يصحو من نومه ذات صباح، فيجد نفسه مجنوناً وانتهى الأمر". يا له من جنون، فهل هنالك من جنون أكبر من هذا الجنون، والعرب يتفرجون أمام موت غير عادي في وحشيته؟

•••

آه يا وطني الجميل والخالد،
آه كم ذكراك غالية ومُضنية
آه يا غزّة هل بقي شيء فيك لم يستبيحوه؟

رغم كل شيء الرسالة وصلت للعالم

عندما نلاحظ سلوك الغرب الكولونيالي بسياسته وساسته، ربما لا نستغرب كثيراً من وقوفه مع المحتل الصهيوني مهما ارتكب من قتل ومجازر وتوقيف أي شخص ينتقد هذا السلوك بحجة معادات السامية. ودعم هذا الغرب اللامحدود للإحتلال الصهيوني، والتغطية على جرائمه، إنما هو امتداد لتاريخه المظلم في احتلال الأراضي واستعباد الشعوب، هذا تاريخ الغرب الكولونيالي الذي يعترف هو به، ويبدو اعترافه بكل تلك الجرائم التي ارتكبها ضد شعوب العالم على مدى عقود من باب التكفير عن الذنب الذي ارتكبه آباؤهم وبداية عقد جديد يخلوا من تلك الجرائم السابقة. والحقيقة أن هذا كله خداع حتى وإن حاولوا الترويج لقيم الحرية والمساواة وحقوق الإنسان والعقد الإجتماعي.

حسين آل ربيع

من الواضح أن شعارات حقوق الإنسان سارية المفعول في حدود إطار شعوب الغرب –العِرق الأسمى! – وليس من حقّ الشعوب الأخرى أن تنعم بها، بل والظاهر أنه حتى شعوب الغرب نفسه بدأت تعاني التضييق والتهديد بل وحتى القمع إن وقف أحد فيها إلى جانب القضية الفلسطينية أو تعاطف معها، بريطانيا – على سبيل المثال لا الحصر– بلد «الديموقراطية العريقة» بدأت منذ الحرب على غزة تجرم رفع العلم الفلسطيني والكوفّية أو أي رمز فلسطيني في الأماكن العامة أو حتى على باب المنزل! وهذه فرنسا بلد الحريات تقمع المسيرات السلمية المؤيدة لفلسطين وتسمح لتلك المؤيدة لإسرائيل! ما السر ياترى في هذا الإختلال الأخلاقي والمنطقي؟!

الحرب على غزّة كشفت الكيفية التي يتم بها خداع الشعوب عبر محطات فضائية وإذاعية شهيرة كنا نعتمد عليها في نقل الأحداث والأخبار حول العالم، إذاعات عريقة مثل «بي بي سي» و«سي إن إن» و«فرانس 24»، و«مونتي كارلو» وغيرها كانت تمارس كذبها في الخفاء، انكشف زيف ادعائاتها وأصبحت تمارس الزيف والتلفيق على العلن دون اكتراث وحرص على تاريخها الإذاعي الطويل في نقل الخبر. دولٌ عظمى تخسر الكثير من ميزانيتها وإذاعات تخسر سمعتها وتاريخها كل ذلك من أجل إسرائيل! ترى ما السر؟!

أما منصّات التواصل الإجتماعي التي أوجدوها للسيطرة على عقول الناس كعادتهم في الإستعباد وإن بطرقٍ مستحدثة، والتي كنا نعتقد أن هذه المنصات وسيلتنا ونافذتنا للتعبير عن آرائنا وعن ما يختلج في أنفسنا بحرية، كانت هذه المنصات بحق صوت من لا صوت له، نفاجأ بها اليوم مع الأسف تخسر الملايين في سبيل التعتيم على الحقيقة وحرية الرأي الى درجة أنها تهدد بغلق الحسابات التي تقدّم محتوىً يدعم القضية الفلسطينية أو يتعاطف معها وينشر أخبارها وسرديتها، أدواتها التي كانت تتحكم بنا في الخفاء، ها هي اليوم تخرج أياديها الأخطبوطية إلى العلن لتتحكم في ما يجب أن نقول وما لا يجب أن ننشر، ولكنها مع ذلك تفقد السيطرة في كثير من الأحيان، إذ أن خوارزمياتها يمكن تجاوزها والتحايل عليها. لقدً كسبت القضية الفلسطينية على مستوى وسائل التواصل بعد حرب ضروس مع نظم الحوسبة والخوارزميات، ولهذا الإنتصار في العالم الإفتراضي وقعٌ مدوٍ على العالم الواقعي عرف العالم الغربي من خلاله الكثير عن فلسطينٍ وعن حقّها فشعوبهم اليوم تتظاهر وتملأ الساحات رغم كل شيء.

رغم كل شيء مرة أخرى، نعم رغم كل شيء، نرى العالم كله يتحرك ويتظاهر ويطالب بالحقّ الفلسطيني ويتعاطف بجدية مع أهل غزّة التي تتعرض للإبادة الجماعية فهذه شوارع نيويورك ولندن وباريس ومدن إندونيسيا وفنزويلا وغيرها الكثير تغصّ بالمتظاهرين والمطالبين وبشكل يومي بوقف العدوان. فالرسالة وبعد عناء ونضال طويل في المجال الواقعي والإفتراضي وصلت أخيراً للعالم كله والآن على الضمير وحده أن يحكم...

مع هذا الدعم والحراك الشعبي العفوي المستمر في الغرب دعماً للحق الفلسطيني، قلّما نجد مثقفيهم أو فنانيهم أو النخب المفكرة والداعمة للقضايا الإنسانية –إذا استثنينا أيرلندا– تتحرك أو تساهم في ذات الشأن الإنساني بينما يجب عليهم من موقع واجبهم ومسؤليتهم أن يتصدروا واجهة الحراك، بل على العكس قد نرى بعضهم يصدح بأصوات الكراهية والعنصرية. نشر المخرج الأمريكي "جيمس وود" مخرج الفيلم الشهير "أوبنهايمر" الذي عرض قبل عدّة شهور والذي جسد فيه الحياة الشخصية لمخترع القنبلة النووية، على منصة إكس (تويتر) فرحة أهل غزة بعملية 7 أكتوبر البطولية، ومن ثم كتب عدة تغريدات طالب فيها بسحق حركة حماس وغزّة بمن فيها، وعندما حاولت الإبلاغ عن هذه التغريدات عبر خاصية (spam) وعلقت في الرسالة بأن هذه الرسائل عنصرية وتحث على الكراهية، ردت عليّ إدارة المنصة برسالة ذكرت فيها بأنها لاترى ما يحثّ على الكراهية في مثل هذه التغريدات!

لا أظن أن هذا المخرج المثقف يعرف ما الذي دفع فصائل المقاومة الى القيام بعملية 7 أكتوبر البطولية، ما الذي يعانيه الفلسطينيون في غزّة والضفة وكامل فلسطين منذ أكثر من 75 عام من إبادة وتهجير ومجازر وفصل عنصري ناهيك عن الحصار الذي تتعرض له غزّة منذ أكثر من 17 عام، حتى فاقت تلك الجرائم كل فاشيةٍ مضت، هل كان المخرج المتحضر والمثقف قد سمع عن كل تلك الجرائم البشعة ليغرد بهذا الشكل، لا أظن أنه يعرف وإن كان يعرف بكل ذلك ويغرد بهذا الشكل فهو عنصري ومحرض على الكراهية والعنف مهما قدّم من أعمال سينمائية تستعطف الناس وإنسانيتهم شاءت منصت إكس أم أبت.

«حماس» والفصائل والأحزاب المقاومة ليست مجموعات إرهابية كما يدعي الغرب، فهو منذ العصر الكولونَيالي يصف كل حركات التحرر بأنها إرهابية لأنها تهدد أطماعه وسياساته الشنيعة التي تحاول أن تكبح حرية الشعوب واستقلالها، هذه الحركات والفصائل والأحزاب هي حركات تحرر وطني (National liberation movement) تناضل ضد سطوة الإحتلال، فهي نشأت كرَدّ فعل ونتيجة للإحتلال. أرادت المقاومة من عملية طوفان الأقصى أن تقول لكل تجاوزات الإحتلال وجرائمه وأن تقول للعالم الداعم لهذا الكيان وبحزم وشجاعة: «لهون وبس..!»

عقيل سوار

دخل عقيل سوار إلى عالم الصحافة من باب العمل المؤقت ليس إلا، وكثير من الصحفيين الذين انخرطوا في المهنة كانوا على شاكلته، لم تتوفر الصحافة البحرينية في أي يوم من الأيام وطوال تاريخها الممتد على مدى مائة عام على أي عنصر من عناصر الاستدامة أو الإغراء أو الاطمئنان لأي خريج او طالب وظيفة. ظلّت الصحافة أرضاً رجراجة قد تطيح بالواقف عليها في أية لحظة، وفي لقاء صحفي مع عقيل سوار في نهاية الثمانينات ذكر أن الصحافة كانت بالنسبة له ملاذا مؤقتا ليس إلا، إذ انقذته من التسكع ومن البطالة وقتها ولم يدر بخلده انها ستكون لاحقاً قدراً أبدياً.

عصمت الموسوي

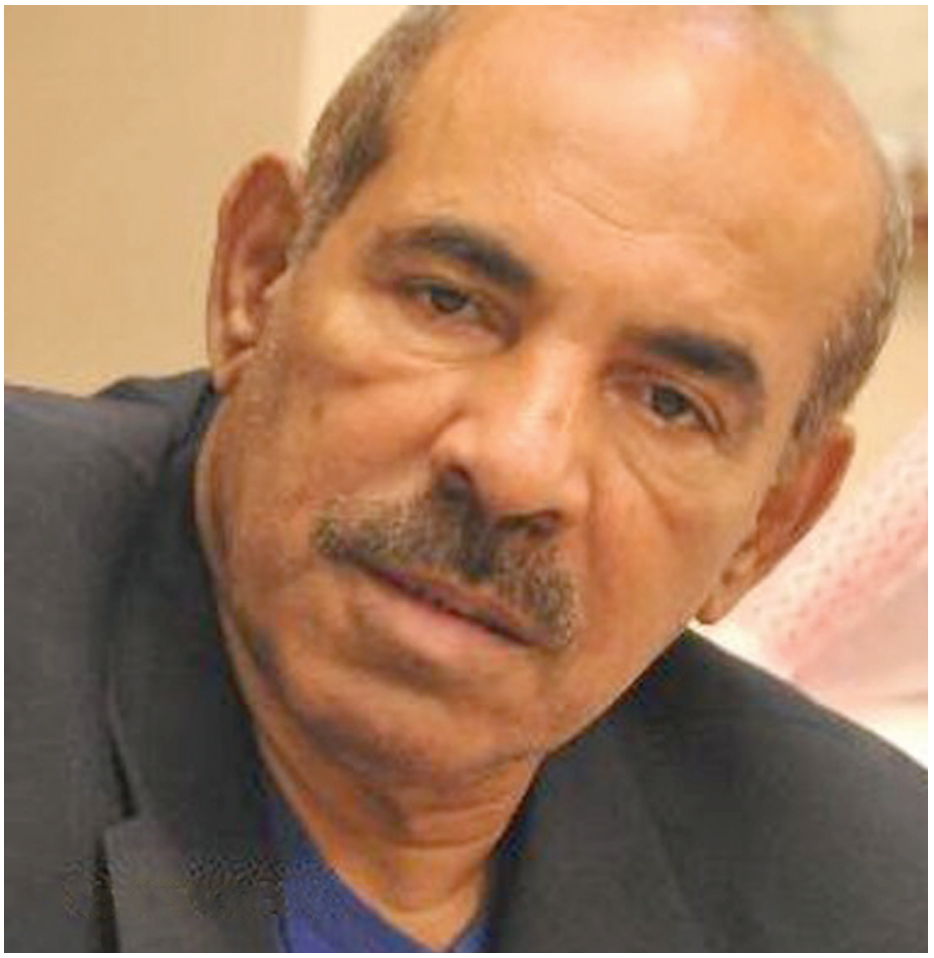

وبداية فقد كان الشاب العشريني والموظف الواعد في شركة «طيران الخليج» يستعد للسفر إلى بريطانيا لتلقي دورة تأهيلية في مجال التموين في مطلع السبعينات، والتي تزامنت مع حركة تمرد عمال الشركة مطالبين بتحسين شروط عملهم، انحاز عقيل إلى العمال وساندهم ونشر بياناتهم في مجلة «صدى الأسبوع» التي كانت وقتها في أوج ازدهارها، على إثر ذلك خسر عقيل وظيفته فتلقفه الراحل علي سيار، وانضمّ إلى «صدى الأسبوع»، واثناء استعراضه لمسيرته المهنية والمحطات المزعجة فيها سينظر عقيل بشيْ من الندم "نسبياً» إلى ذلك اليوم قياساً بما كان سيكون عليه الحال لو استمرّ في وظيفته في شركة «طيران الخليج»، وواصل تطوّره ونجاحه المهني في مكان أكثر استقراراً وثباتاً، مع ذلك أبلى عقيل سوار بلاءً حسناً في الصحافة، وتنقل في مختلف المطبوعات وكتب في مختلف الموضوعات: «صدى الأسبوع»، «بانوراما»، «أخبار الخليج»، «الأيام» و»الوطن».

خريج مدرسة علي سيار ظلّ صحفياً جدلياً وإشكالياً "ومشكلجياً» تستقطبه الصحف ثم سرعان ما تضيق ذرعاً بجرأته وسطوة قلمه، اصطدم مراراً مع الرقابة الصحفية في الداخل والرقابة الرسمية في الخارج، كما اصطدم مع التيارات السياسية وهاجمها، اذ رأى أن أداءها السياسي وتحالفها مع التيار الديني لا يخدم الديموقراطية الوليدة بل يضعفها ويقوي الحكومة عليها، أما المعارضة فقد رأت أن توجهات عقيل وكتاباته تنسجم أساساً مع الصحافة ذات التوجه الحكومي والتي تتشدق بمبادئ الديموقراطية والتعددية ولكنها تبطن العداء للاختلاف ولأي صوت معارض.

ورغم كل ما يقال عن تجربة عقيل في الصحافة، واختلاف القرّاء والجمهور حول مواقفه وآراءه، فإنه يظلّ رقماً مهماً على خارطة صحافة البحرين، وأحد أهمّ رواد الجيل الثاني وقد تميّز عمله بالشمولية وتعدد المهارات والثقافة، وإجادة فن التصوير والمسرح والشعر واللغة الإنجليزية والتي استثمرها ووظفها في كاتباته.

إلا أن العنصر المهم في تلك التجربة والتي لا يختلف عليها اثنان، هو أن عقيل يُعدّ أول مبشر باستخدام التكنولوجيا والتقنيات والكمبيوتر في أعمالنا وحياتنا، وانطلاقا من ذلك بدأ عقيل بسلسة طويلة من المقالات المهمة في عدد من المطبوعات وفي موقعه الإلكتروني من أجل تلافي الأمية الكمبيوترية كما أسماها، وكيف "أننا متأخرون جدا فيها لو بدأنا من هذه اللحظة نظراً لسرعة تطورها وتنوع تطبيقاتها".

يحسب لعقيل أنه ساهم بقوّة في تنمية وعي جمهور القراء تقنياً وتكنولوجياً منذ عمله في مجلة «بانوراما» في مطلع الثمانينات والسعي لترشيد وعي المستهلك حول المنتجات التقنية المتوفرة في الأسواق في ذلك الوقت، ومع بزوغ زمن الإنترنت كان عقيل من أوائل المستخدمين له والمتبحرين فيه والداعين إلى الانخراط فيه قبل فوات الأوان، كونه سيكون عاملاً مهماً في النهضة العملية والمهنية المستقبلية.

وبالطبع لن ينسى القرّاء سلسلة المقالات المسهبة والطويلة التي انتقد فيها عقيل أداء شركة الاتصالات «بتلكو» المحتكرة لسوق الاتصال في ذلك الوقت قبل فتح سوق الاتصالات لاحقاً، ورأى أن رسومها العالية غير مبررة وضاغطة على جيب المواطن البحريني، وأنها تبتغي الربح أكثر مما تتوجه لتنمية المجتمع تقنياً، وتوسيع خياراته المهنية وتعظيم استفادته من هذا الاختراع المهم.

وعلى موقع عقيل سوار الإلكتروني الذي جرى تدشينه ضمن فعالية "هواجس عقيل سوار» للاحتفاء بـ"عقيل مصوراً وصحفياً ومسرحياً» في مركز عبدالرحمن كانو الثقافي مؤخراً، سيجد قرّاء اليوم كيف كان عقيل سابقاً لزمنه، وهو الذي قال في أحد مقالاته "ينتظرنا زمن لن تستطيع فيه رقابات الإعلام السيطرة على فضاء الإنترنت وكل ما ينشر ويبث فيه، وأن على الحكومات أن تستعد لهذا اليوم عبر سنّ التشريعات الجديدة والملائمة لهذا العصر، قبل أن يفاجئها الطوفان القادم "، والمفارقة أن عقيل سوف يصطدم مجدداً بالرقابة الحكومية الإلكترونية وسيحل ضيفاً متكرراً في مكاتبها كلما نشر أو كتب نصاً لا يتوافق مع توجهاتها. دار الزمن دورة امتدت لخمسين عاماً هي عمر المهنة في حياة عقيل سوار، ولا تزال قوانين الإعلام أشدّ قسوة وتضييقاً مما سبقتها، لقد اكتوى عقيل مما سبق وحذر منه.

كيف يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكمل العمال بدلاً من أن يحل محلهم؟

إن التقدم في مجال الذكاء الاصطناعي يخلق فرصا هائلة لتوسيع الإمكانات البشرية واستبدال الوظائف. هناك خيارات حاسمة يتعين علينا اتخاذها: إما الاستمرار في الأتمتة أو استخدام التكنولوجيا لصالح العمال. في حين أن التقنيات الرقمية قد خلقت العديد من المنتجات والخدمات الجديدة وزادت الإنتاجية في بعض الأنشطة،إلا أن هناك أيضًا أدلة على أن مكاسب الإنتاجية من هذه التقنيات تكون في بعض الأحيان أقل بكثير من التوقعات . في كل الأحوال، على مدى الأعوام الأربعين الماضية، أدت موجات التكنولوجيات الرقمية ـ بما في ذلك أجهزة الكمبيوتر الشخصية، والآلات التي يتم التحكم فيها رقمياً، والروبوتات، والتشغيل الآلي للمكاتب ـ إلى اتساع فجوة التفاوت بين الناس. ويرجع ذلك إلى أن بعض هذه التقنيات (مثل أجهزة الكمبيوتر) أثبتت أنها مفيدة جدًا للعاملين

حسين الشويخ

الأكثر تعليمًا ، ولأن العديد من التقنيات قد تم استخدامها لأتمتة العمل، مما يؤثر على أنواع مختلفة من العمال بشكل مختلف.

من المؤسف أن الاتجاه السائد الحالي لتطوير الذكاء الاصطناعي يؤكد على التشغيل الآلي، وإزاحة العمال المهرة والحد من قوة «أصواتهم». وهناك مسار بديل «مكمل للبشرية» قادر على توليد قدر أعظم من نمو الإنتاجية والمساعدة في تقليص فجوة التفاوت الاقتصادي. ومع ذلك، فإن الوصول إلى هذا المسار البديل سيتطلب جهداً سياسياً كبيراً.

لقد كانت الأتمتة ــ استبدال الآلات،ومؤخرا الخوارزميات، للمهام التي كان يؤديها البشر في السابق ــ ثابتة منذ بداية الثورة الصناعية على الأقل، الأمر الذي أدى إلى اتساع فجوة التفاوت. منذ الثمانينات ومع تطور التكنولوجيات الرقمية، أصبحت التشغيل الآلي للعمال والموظفين في المكاتب محركا مهما لاتساع فجوة التفاوت .

من المحتم أن يتم استخدام أنظمة الذكاءالاصطناعي في الأتمتة، سواء لأسباب فنية أو لاستراتيجيات العمل. على الجانب الفني، كان العائق الرئيسي أمام الأتمتة قبل ظهور الذكاء الاصطناعي هو أن العديد من مهام الخدمات والتصنيع تتطلب المرونة والحكم والفطرة السليمة التي كانت تتطلب تاريخياً صناع القرار من البشر. يتمتع الذكاء الاصطناعي، وخاصة الذكاء الاصطناعي التوليدي (GenAI)،

بالقدرة على التكيف بمثل هذه المهام. يمكن الآن تنفيذ مجموعة واسعة من مهام أمان الكمبيوتر التي كان يؤديها في السابق مشغلون بشريون ماهرون بواسطة روبوتات الذكاء الاصطناعي. وبالمثل، يمكن لأنظمة الذكاء الاصطناعي التوليدية كتابة نسخة إعلانية، وتحليل المستندات القانونية، ونسخ السجلات الطبية، وتنفيذ ترجمة اللغة. ولا تزال التقنيات التي تقف وراء هذا الشكل الجديد من الأتمتة غير ناضجة، لكنها قد تؤدي إلى مكاسب كبيرة في الإنتاجية مع انخفاض التكاليف وتحسن الموثوقية.

قد تختار الشركات أيضًا الآلات بدلاً من العمال لأسباب لا علاقة لها بالإنتاجية. تروق الأتمتة للمديرين الذين يسعون إلى قدر أكبر من الاتساق ومقاومة أقل من القوى العاملة المنظمة أو غير المنظمة.

ولكن هناك طريقة أخرى. يمكننا استخدام قوة GenAI لتعزيز العاملين وإنشاء مهام إنتاجية جديدة لهم، بدلاً من مجرد أتمتة عملهم.

كان هذا هو الحال في معظم فترات القرن العشرين: فقد كانت أتمتة العمل التقليدي متوازنة نسبياً مع خلق مهام جديدة، وكانت أساساً لنمو الأجور وفرص العمل، ودعم الرخاء المشترك. حلت التقنيات الجديدة محل المهام الحالية واستكملت الأشخاص في نفس الوقت ، مما سمح لهم بأداء عمل أفضل وإنشاء مهام جديدة.

ومع ذلك، في وقت ما حوالي عام 1980، فقد هذا التوازن. على الرغم من أن الأتمتة حافظت على وتيرتها أو حتى تسارعت على مدى العقود الخمسة التالية، إلا أن القوة التعويضية لإنشاء المهام الجديدة تباطأت ، خاصة بالنسبة للعاملين الذين لا يحملون شهادات جامعية. أجبر العمال الذين لم يحصلوا على تعليم عالٍ على ترك المصانع والمكاتب بسبب الحوسبة (في حالة العمال، أيضًا بسبب المنافسة من الواردات)، ولكن لم يظهر لهم ما يعادل جديد من الفرص ذات الأجر الجيد. ونتيجة لذلك، يجد هؤلاء العمال أنفسهم على نحو متزايد في وظائف خدمية منخفضة الأجر مثل التنظيف، والأمن، وتقديم الطعام، والترفيه. وهذه الوظائف ذات قيمة اجتماعية، ولكنها لا تتطلب تعليمًا خاصًا أو تدريبًا أو خبرة، وبالتالي فهي منخفضة الأجر.

واليوم، يعمل التقدم في مجال الذكاء الاصطناعي التوليدي على خلق فرص هائلة لتوسيع الإمكانات البشرية وإزاحة العمال من خلال تسريع الأتمتة. لذلك يتعين علينا اتخاذ خيار حاسم: إما الاستمرار في تسريع الأتمتة أو استخدام هذه الأدوات القوية بطريقة تتمحور حول العامل.

تقدم العديد من الدراسات الحديثة أمثلة تدعم المفهوم الثاني، حيث توضح كيف يمكن للذكاء الاصطناعي التوليدي أن يكمل معرفة الخبراء بدلاً من أن يحل محل الخبراء. على سبيل المثال، أظهرت إحدى الدراسات أن GitHub Copilot، وهي أداة برمجة مدعومة من GenAI، جعلت المبرمجين يعملون بشكل أسرع بنسبة 56٪. وجدت دراسة أخرى أن الموظفين قاموا بتحسين سرعة وجودة مخرجاتهم المكتوبة باستخدام ChatGPT، مع قيام الكتّاب الأقل قدرة بتحسين مهاراتهم أكثر من غيرهم. لم يجعل الذكاء الاصطناعي التوليدي الكتاب الأقل مهارة بنفس كفاءة الكتاب الأكثر مهارة، لكنه جعل جميع الكتاب أسرع وقلص بشكل كبير فجوة الجودة بين المجموعتين. آخر واحد حديث وجدت دراسة أن ممثلي خدمة العملاء الذين يتلقون معلومات المساعدة باستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدية يحسنون إنتاجيتهم بشكل كبير. ومرة أخرى، يستفيد العمال المبتدئون أكثر من غيرهم، حيث تزيد إنتاجيتهم بسرعة أكبر بثلاث مرات من العمال الذين لايستخدمون هذه الأدوات.

في جميع الحالات الثلاث ، تعمل أدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي على أتمتة العمل البشري وتعزيزه.

توفر الأتمتة وقت الموظفين: يقوم الذكاء الاصطناعي بكتابة المسودة الأولى للكود والنص الإعلاني واستجابة دعم العملاء. يحدث التوسع في الإمكانات البشرية لأنه يتعين على العمال تطبيق الخبرة والحكم ليصبحوا همزة الوصل بين اقتراحات الذكاء الاصطناعي والمنتج النهائي، سواء كان ذلك رمزًا أو رسائل نصية أو دعم العملاء.

ما الذي يمكن أن يساعد في وضع اقتصادات الولايات المتحدة وأوروبا ودول أخرى على المسار حيث يكمل الذكاء الاصطناعي البشر؟ في تقرير جديد لـ CEPR Policy Insight، نقترح خمسة عناصر محتملة تستحق اهتمام صناع السياسات.

النظام الضريبي. وفي الولايات المتحدة، يفرض قانون الضرائب الحالي عبئا أثقل على الشركات التي تستأجر العمالة مقارنة بالشركات التي تستثمر في التشغيل الآلي. ويتعين علينا في كل البلدان أن نسعى جاهدين لإنشاء بنية ضريبية أكثر تناسقاً، حيث يتم معادلة الضرائب الهامشية المفروضة على توظيف (وتدريب) العمالة والاستثمار في الأجهزة والبرمجيات. وهذا من شأنه أن يحول الحوافز نحو الحلول التكنولوجية التي تكمل البشر. صوت العمال . سيكون لاتجاه الذكاء الاصطناعي آثار عميقة على جميع العاملين. إن إنشاء إطار مؤسسي حيث يكون للعمال صوت من شأنه أن يشكل خطوة إيجابية ــ ويلعب المجتمع المدني دوراً مهماً في ضمان هذا، بما في ذلك من خلال التعبير عن الاحتياجات على المستوى المحلي. كحد أدنى، ينبغي للسياسة العامة أن تحد من استخدام الذكاء الاصطناعي غير المختبر (أو الذي لم يتم اختباره بشكل كاف) في التطبيقات التي يمكن أن تعرض العمال للخطر، مثل مهام صنع القرار في مجال الموارد البشرية (بما في ذلك التوظيف والفصل) أو المراقبة والإشراف في مكان العمل. تمويل البحوث المتعلقة بالتقنيات التكميلية، أي. مكملة للعمل . ونظرا لأن مسار البحث الحالي منحاز بشكل كبير نحو التشغيل الآلي، فإن الدعم الإضافي للبحث وتطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي المكملة للإنسان يمكن أن يكون له تأثير كبير. ومن الأفضل التركيز على قطاعات وأنشطة محددة حيث توجد مثل هذه الفرص بالفعل: التعليم والرعاية الصحية وتدريب الحرفيين. خبرة الذكاء الاصطناعي في الحكومة الفيدرالية. سيؤثر الذكاء الاصطناعي على جميع مجالات الاستثمار الحكومي والتنظيم والرقابة، بما في ذلك (على سبيل المثال لا الحصر) النقل وإنتاج الطاقة وظروف العمل والرعاية الصحية والتعليم وحماية البيئة والسلامة العامة والقدرات العسكرية. إن إنشاء وحدة استشارية للذكاء الاصطناعي داخل الحكومة (أو على مستوى الاتحاد الأوروبي في أوروبا) يمكنها دعم الوكالات والجهات التنظيمية المتعددة التي تعالج هذه القضايا من شأنه أن يسهل اتخاذ القرارات في الوقت المناسب وبفعالية أكبر على كل المستويات. شهادة التكنولوجيا. يمكن للحكومة أن تشجع الاستثمار المناسب من خلال تقديم التوجيه حول ما إذا كانت تقنية التعزيز البشري المقترحة ذات جودة كافية لاستخدامها في برامج التعليم والصحة التي تمولها الحكومة. لكي تكون هذه النصيحة ذات معنى، يجب أن يكون الخبراء مستقلين - أي. يجب ألا تعمل بشكل مباشر أو غير مباشر لشركات التكنولوجيا. ومن الصعب جذب المواهب إلى الحكومة أو الجامعات عندما يدفع القطاع الخاص أموالاً طائلة مقابل الخبرة. وهذا يعزز بشكل أكبر قضية إنشاء خدمة ذكاء اصطناعي اتحادية عالمية مرموقة.

ليس هناك ما يضمن أن القوة التحويلية للذكاء الاصطناعي التوليدي سيتم استخدامها لتحسين تجربة العمل لدى العمال. ويميل التحيز في قانون الضرائب، والقطاع الخاص بشكل عام، وقطاع التكنولوجيا بشكل خاص، إلى تحويل تطوير التكنولوجيا نحو الأتمتة بدلا من تعزيز قدرات العمال. ولكن هناك أدوات محتملة قوية تعتمد على الذكاء الاصطناعي والتي يمكن استخدامها لإنشاء مهام جديدة، وزيادة خبرة العمال وإنتاجيتهم عبر مجموعة من المهارات.

إن إعادة توجيه تطوير الذكاء الاصطناعي نحو مسار يكمل البشر بدلا من أن يحل محلهم يتطلب تغييرات في اتجاه الإبداع التكنولوجي فضلا عن معايير الشركات وسلوكها. ويجب أن يرتكز ذلك على أولويات حكومية مناسبة وفهم عام أوسع لما هو على المحك وما هي الخيارات المتاحة. ونحن نعلم أن هذه مهمة صعبة. لكن هذا يجعل التركيز عليها أكثر أهمية.

غازي العلوي

العنصرية

ما هي العنصرية ؟
نسمع وصف حركة عنصرية أو دولة عنصرية، كما في السبعينات الماضية، في جنوب إفريقيا، روديسيا العنصرية حيث قام نظام يفرق بين البشر ذوي البشرة البيضاء والبشرة السوداء، أي على أساس اللون والعرق والحقوق والواجبات والديانات، وتصوير الأبيض القادم من القارة الأوروبية أفضل من الشخص من أصل أفريقي، فأينما حصل هذا سميّ نظاماً عنصرياً.

حتى في الكشوفات الجغرافية من قبل الأوروبيين للقارة الأمريكية الشمالية، لم يتعايش الأوروبيون مع الهنود الحمر، بل تمّ القضاء على القبائل الاصلية، وهذه عنصرية اضطهادية، كما نعرف أن الإمبريالية هي أعلى مراحل الرأسمالية وهي تملك وسائل الانتاج، ما جعلها تبسط نفوذها على دول آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية وتضطهد شعوبها

التاريخ يوضح أن السبب الرئيسي لقيام الحربين العالميتين، الأولى والثانية، هو تقاسم الأسواق حيث فرنسا استعمرت الدول الأفريقية وبريطانيا استعمرت الدول الآسيوية، فيما ألمانيا لم تحصل على أسواق وبذلك بدأت تقوي نفسها في الصناعة، ومنها صناعة السلاح لغزو العالم.

وقبل الحربين العالميتين تمّ وعد بلفور المشؤوم حيث تم اعطاء اليهود فلسطين من قبل بريطانيا وهي لا تمتلك فلسطين، وبدأت العنصرية من قبل تشكيل حكومة إسرائيلية عنصرية لا ترغب في التعايش مع الفلسطينيين على أرض واحدة، وصارت نكبة التهجير للشعب الفلسطيني في 1948 وتبعتها محاربة الشعب الفلسطيني وقتله في لبنان وسوريا والأردن وحالياً هناك محاولة تهجير ممنهج للشعب الفلسطيني من غزّة الى مصر، وكل هذا يندرج في العنصرية، ويسمى بالصهيونية العنصرية.

هذه الحركة العنصرية ترفض التعايش مع الشعب الفلسطيني حسب الحلول والمواثيق الدولية، التي تنص على قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، حيث الإمبريالية العالمية في الدول الأوروبية وحلف الناتو بقيادة الإمبريالية الأمريكية تشن الحروب على جميع الشعوب ذات الأنظمة القوية مثل روسيا والصين وإيران ودول أمريكا الجنوبية، وكل هذه الأطماع التوسعية جاءت بعنصرية استضعاف الشعوب حيث لم تكتف بتهجير الشعب الفلسطيني بل اجتثاثه من أرضه، ومن كل مكان هجر إليه، ومن ذلك مجازر صبرا وشاتيلا في لبنان، كما جرى ذلك ضد الفلسطينيين في سوريا والأردن وفي تونس باستهداف القيادات الفلسطينية.

ولو لم يكن هدف النظام العنصري الصهيوني هو التوسع لكان جعل الفلسطينيين يستمرون في العيش على أراضيهم، إلى جانب اليهود، ولكنه يريد إبادتهم جماعياً، وحملهم على الهجرة من خلال اعتداءاته هو وعصابات مستوطنيه التي تستهدف يومياً العمال والفلاحين والنساء والأطفال الذين يعملون في داخل المناطق التي يسيطر عليها.

كيف كتب ناظم حكمت سيرته الذاتية؟

«أحمد» هو الإسم الحزبي السري لناظم حكمت في مطلع شبابه. وسيصبح «أحمد» هو البطل الرئيسي لروايته: «الحياة جميلة ياصاحبي"، التي أنجزها قبل عام من وفاته. ناظم الذي ناهز الستين عاماً، سيختار أن يكتب عن "أحمد" ذي الثالثة والعشرين، ليوثق حياته روائياً. في سبتمبر ١٩٦١. في برلين سنقرأ في قصيدة له بعنوان «سيرة ذاتية» مايلي: «خلاصة الكلام أيها الرفاق، هي حتى لو كنت اليوم سأموت غمّاً في برلين، فإنني أستطيع أن أقول بأنني عشت إنساناً، أما كم سأعيش، وماذا ينتظرني.. فلا أحد يعرف!".

ناظم حكمت

محمد ديتو

"سأموت غمّاً في برلين" ؟!، ولكن لماذا؟

لا يزال كتّاب سيرته يتجادلون حتي اليوم في أسباب نوبات الاكتئاب المتكررة التي داهمته في سنواته الأخيرة، وعلي الأرجح أننا لن نعلم الحقيقة أبداً. ما سنعلمه هو أنه منذ هروبه من تركيا إلى الاتحاد السوفيتي في عام 1950 حتي وفاته في 1963، عاش ناظم حكمت بوصفه أيقونة لكل مناضلي الحرية في العالم، علماً أنه تمتع بوضع مادي مريح حاله كحال مشاهير الأدب والفن في زمنه. كما عادت علاقته مع الحزب الشيوعي التركي، وأصبح عضواً فعالاً في قيادة الحزب الذي تزعمه "إسماعيل بيلين" الأمين العام للحزب.

كانت مدينة لايبزغ في جمهورية ألمانيا الديمقراطية تحتضن غالبية قيادات الحزب آنذاك، حيث عمل بعضهم في الإذاعة الناطقة بالتركية في تلك المدينة. كتب خلال الثلاثة عشر عاما التي قضاها في منفاه "الإشتراكي" قصائد عديدة من موسكو، براغ، برلين، صوفيا، وغيرها، والكثير منها يتضمن تلميحات الي فترات حياته السابقة. داهمته شتى ضروب الحنين في سنين غربته: حنين الي الوطن، حنين إلى سنين النضال السابقة، حنين إلى تجارب الغرام في شبابه. عاش حالة إغتراب سيعرفها الكثيرون بإسم «غربة الزمن»: فحاضرهم غريب، وماضيهم مألوف، ومستقبلهم مجهول. إشتبك ناظم حكمت مع "شياطين" الذاكرة، وحاول ترويضها وإستئناسها، وكان من نتائج ذلك إبداعه لرواية "الحياة جميلة ياصاحبي". تشير مصادر سيرته إلى أنه كان يفكر في موضوع الرواية لسنين، ولكنه احتاج فقط

لشهر واحد ليكتبها في فندق في وسط مدينة "فيينا" في عام1962.
شخصيات الرواية محدودة، أبرزهم أنوشكا عشيقة أحمد أيام دراسته في موسكو، إسماعيل وزوجته ناريمان من رفاق أحمد، و سي. ياو. أو الطالب الصيني الذي تشارك معه غرفته في الجامعة. المثير أن ناظم حكمت ذاته يتقمص دور أكثر من شخصية في الرواية، فتارة نراه في ذكريات أحمد، وتارة أخرى نراه في إسماعيل. كما لاحظ أحد النقاد ذات مرة، فإن ناظم تعامل مع شخصياته كما يتعامل مخرج سينمائي مع فيلم رخيص التكلفة، حيث يقوم الممثلون بأكثر من دور في العمل.
يتحدث ناظم عن شخوص وأماكن تسكن ذاكرته، بوصفهم "ضيوفا". إستخدامه لهذا التعبير يعكس إحترامه لمن يتذكرهم، والطبيعة العابرة لوجودهم في حياته. مشاعره تجاه شخوص الذاكرة يصفها بقوله: «هناك من أحبهم مثل حياتي. وهناك من أكرههم. لكني لا أشعر بالعداء تجاه أي شخص بإستثناء من قتلوا شهداء الحزب و كل الطبقات المستغلة للكادحين ليس في تركيا فحسب بل في كل العالم" . لا توجد أحقاد شخصية في قلب ناظم حكمت، عدائه مكرس لمن يستغل ويظلم ، ضد الفاشية والإمبريالية. مثير هذا التمييز بين مفهومي الكراهية والعداء، فالأولى تتعلق بميوله الشخصية، والثانية بمبادئه السياسية. ناظم لا يشخصن عدائه السياسي، ولا يعادي من لا يحبه. "هناك بعض الأشخاص يعادوني، في حين أنني لست عدواً لهم. إنه لأمر غريب أن تعرف أنّ ثمة إنسان يكن لك العداء ولا تشعر بالعداء نحوه."
يقول أيضا: "لديّ ضيوف: جميع المدن التي عرفتها، وتلك التي زرتها فقط في الكتب والصور. كل البلدات الصغيرة والطرق الجبلية والغابات والشوارع والليالي والأيام. جدول المياه المليْ بالأسماك في قرية قيرازلي، وخليج قالاميش بإسطنبول، وشارع توفيرسكوي بموسكو، ومقهى أينالي في بولو."
في الرواية نرى "أحمد" يفعل كل ما سبق لناظم أن فعله، رحلته عبر الأناضول إبان حرب التحرير ، معيشته في "جورجيا" في مطلع العشرينات، ودراسته في موسكو، ومطاردات البوليس السري له في تركيا . كل تلك المغامرات ستذكرنا بما حصل في حقيقة الأمر لناظم نفسه. إلا أنه نتيجة لطبيعة العمل ذاته، كونه "رواية"، فإن ناظم حكمت كان حراً في إختيار و"تعديل" تفاصيل تلك المغامرات وفق ما يراه هو كمؤلف للرواية. وحيث أن الحدود بين الخيال الروائي وسرد حقائق السيرة الذاتية الفعلية ستبدو مبهمة في تلك الرواية الجميلة، فلن يستطيع أي أحد أن يلوم ناظم فيما إذا كان دقيقاً في سرده لقصة حياته أو أنه مزج أحداثاً من وحي خياله.
الحبكة الأساسية للرواية تتلخص في أن "أحمد" يلجأ إلى كوخ حجري في ضواحي إزمير في عام 1925، في أعقاب هجمة بوليسية واسعة شنتها السلطات آنذاك ضد أعضاء الحزب وكوادره. سيتم تكليفه بمهمة تجهيز مطبعة سرية لصحيفة الحزب بداخل الكوخ، إلا أنه وخلال خروجه ذات يوم يتعرض لعضة كلب هزيل. ينصحه بعض الرعاة بتضميد الجرح بأوراق التبغ و أن لا يهتم كثيرا بالموضوع. بعد أربعة أيام سيقرأ في الجريدة خبراً عن الكلاب المسعورة، وإن عدة أفراد في إزمير تعرضوا لإصابات نقلوا على إثرها إلى إسطنبول، حيث يتوفر المستشفي الوحيد المختص بعلاج الحالات المسعورة. يصاب أحمد بالذعر، ويشكّ في أنه ربما يكون مصاباً، ويخبر رفاقه بالحقيقة في إجتماع الخلية الحزبية، يدور الجدل حول ما يتعين فعله بخصوص مصير أحمد. هل سيذهب إلى إسطنبول في ظل مخاطر إعتقاله من البوليس، مع إحتمال الوشاية به من قبل الطبيب الذي سيعالجه في المستشفى؟ هذا في حالة أنهم متأكدون من كون الكلب مسعوراً، ولكن لا شئ يبعث علي اليقين التام لإتخاذ قرار نهائي: فهم غير متأكدين أولاً من أنه مسعور، وثانياً في حالة تأكدهم من ذلك، فإنهم غير متأكدين من أنه سينجو من البوليس أو الوشاية في حال ذهابه إلى إسطنبول للعلاج. في الختام سيلقون بكامل مسئوولية القرار على عاتق أحمد: تصرّف أنت كما تراه مناسباً.
يبدو أن ناظم حكمت في هذه الحبكة – اللغز، والمتعلقة بالقرار المناسب الذي يتعين إتخاذه في حالة أحمد، قد لخّص بكثافة بعض معضلات إتخاذ القرارات في ظروف العمل السري آنذاك: حساب للمخاطر قائم كله علي تخمينات، بالاضافة إلى الاشتباك والتعارض المحتمل بين مصلحة حياة الفرد (علاج أحمد من السعار المحتمل)، ومصلحة الحزب (عدم وقوعه في أسر البوليس).
تتوالي فصول الرواية الستة والعشرون لتعكس مشاهد مختلفة من الذاكرة تداهم أحمد وهو ينتظر في الكوخ، إذ قرأ في أحد الكتب أن فترة حضانة الإصابة بالسعار تبلغ أربعين يوماً وبعدها يتوفى المريض. يعيش هوس إنتظار الموت، ويبدأ بخطّ خطوط بالطباشير على باب الكوخ لحساب إنقضاء الأيام. وهكذا سيدخل القارئ في حالة مستمرة من الترقب والإنتظار طيلة صفحات الرواية، بل أن فصول الرواية معنونة بأرقام الخطوط التي يخطها أحمد على الباب.
ولكن سيتضح أن فصول الرواية عبارة عن ذكريات مختلفة ذات مكانة خاصة في قلب ناظم حكمت: العمل التطوعي في أيام الجامعة، إحتفالات الأول من مايو، سيتذكر أحمد قبلته الأولى، وكيف أن أنوشكا لم تعرف كيف تقبل. لا يتم سرد الذكريات وفق مسار زمني منتظم بل مختلط، فذكريات موسكو (في العشرينات) تمتزج بذكريات لقاءات الأهل في أوقات الزيارة في سجن بورصة (في الثلاثينات). أحمد يتذكر تلك الأيام: الحزين منها والمبهج، بنفس القدر من الشجن والحنين.
هناك بيتان من الشعر، يطاردان مخيلة أحمد طيلة الرواية: الأول حول معضلة الإلتزام السياسي ومصائره، والثاني حول حالة الفراق المزمنة التي سيعانيها طيلة حياته. في أحد الفصول سنقرأ مشهد أحمد وهو يقرأ في ديوان شعري وجده في الكوخ. يسأل رفيقه إسماعيل: «ما الذي تتذكره من القصائد في هذا الديوان؟»، فيجيبه: سطر واحد: السفينة ذات المائة صارية، ما هو الميناء الذي ستبحر إليه؟، لماذا تتذكر هذا السطر؟ «بسبب الصواري.»
في مشهد آخر نرى أحمد ممسكاً بيد أنوشكا وهما يتجولان في الغابة. يغني أحمد مقطعاً شعرياً: «أسمع نواح الناي، وهو يشكو من الفراق". فتسأله أنوشكا "ما الذي تتمتم به يا أحمد؟». "هناك شاعر عظيم، صوفي، لكنه رائع حقا اسمه مولانا الرومي – أنا أردد أحد أبياته الشعرية." وترجم أحمد معني تلك الأبيات لأنوشكا: «ألناي مصنوع من القصب؛ إنه مكسور من القصب. لذلك عندما تعزفين عليه، فإنه ينعي إنفصاله. الإنسان جزء من الكون، وحين ينفصل عنه فإنه سينعي هذا – أعني، الشاعر يفعل ذلك."
تنتهي الرواية بخروج أحمد من الكوخ وركوبه القطار متجها إلى إسطنبول، بعد أن تخلص من مخاوفه بخصوص إصابته بالسعار. في الفصل الأخير يطلب أحد رفاق أحمد منه أن يقول شعراً، فيجيبه بهذه الأبيات: «أنا شيوعي،...عاشق أنا من قمة الرأس إلى أخمص القدمين. العشق رؤية وتفكير وفهم. العشق أن تحبّ الطفل الوليد وانبلاج الفجر، وتصبو إلى النجوم، وتسقى الفولاذ بتعبك». تعقيباً على هذه القصيدة تقول ناريمان الجملة التي تحولت إلى عنوان للرواية: «الحياة شئ جميل يارفيقي».
في النص الأصلي لمخطوطة الرواية يستخدم ناظم حكمت عبارة "أنا شيوعي" في القصيدة التي ترد في الختام. لاحقاً تمّ إستبدالها بتعبير "كادح" في معظم الترجمات الأجنبية، الأمر الذي دفع بصندوق ناظم حكمت الثقافي في أنقرة في نوفمبر 2017، إلى الإحتجاج وإصدار بيان يوضح فيه موقفه الرافض للرقابة علي النص الأصلي، والتي تمت في ظل قانون تجريم الشيوعية في تركيا، وبما أن القانون قد تم إلغائه، فإن شطب كلمة الشيوعية في 25 موضعا في الرواية، بما فيها نص القصيدة النهائية أصبح غير مبرر. وأوضح البيان أن هوية ناظم حكمت الشيوعية، هي هوية إنسانية "من قمة الرأس إلى أخمص القدمين". نتفق مع ذلك تماماً، فعلينا فهم ناظم حكمت كما فهم هو هويته، بعيداً عن التمويه والتحريف. في قصيدته في نهاية الرواية سيلخص ناظم حكمت كل ما أراد قوله عن شيوعيته، وإنسانيته، ومغزى حياته. فمن سيعترض علي ربط" العشق بالرؤية، والتفكير، والفهم "؟ ومن سيجرأ أن لا يحبّ "الطفل الوليد، وانبلاج الفجر"؟

ليس «تفصيلاً ثانويّاً»

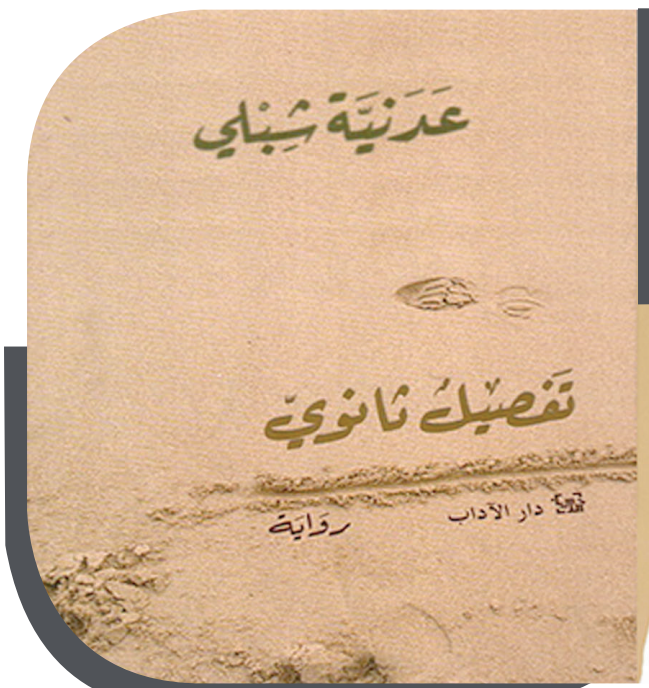

في الأحداث الكبرى عادة ما تضيع التفاصيل، هو قانون الطبيعة: السمكة الكبيرة تلتهم الصغيرة، غير أن بعضها عصيٌّ على الالتهام، يبرز كلطخة حبر سوداء في جدارية ضخمة، أو كنوتة ناشزة في سمفونية متقنة. وهذا ماحدث، خبر كان يمكن أن يمرّ عاديا عن تأجيل منح جائزة لكاتبة، أخطأ توقيتَه ومبرراته فكان أشبه بالطفل الذي قال للملك إنك عارٍ وفضح زيف الكبار.

د.بروين حبيب

أصل الحكاية أن روائية فلسطينية موهوبة تقيم في برلين تدعى «عدنية شلبي» نشرت رواية (130 صفحة من القطع الصغير) سنة 2017 بعنوان «تفصيل ثانوي»، وحدث أن لفتت هذه الرواية الأنظار إليها ولاقت استحسان النقاد والقراء على السواء حين ترجمت إلى اللغة الإنجليزية فاختارتها جريدة «نيويورك تايمز» ضمن كتبها المميزة لعام 2020، ودخلت القائمة القصيرة لجائزة الكتاب الوطني للأدب المترجم عام 2020، والقائمة الطويلة لجائزة البوكر الدولية عام 2021، والقائمة القصيرة لجائزة الأدب الدولية التي تمنحها دار ثقافات العالم في برلين عام 2022. لتتوج بجائزة ليبراتور «LiBeraturpreis» المخصصة لآداب إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية هذه السنة ووصفت الجهة المانحة الرواية بأنها «عمل فني مؤلف بدقة يحكي عن قوة الحدود وما تصنعه الصراعات العنيفة بالإنسان»، وكان من المفترض أن تستلم الروائية جائزتها في الدورة الخامسة والسبعين من معرض فرانكفورت الدولي للكتاب. غير أن ما كان من المفروض أن يكون حدثا ثقافيا عاديا محصورا بين المهتمين بالرواية العربية وإنجازاتها تحوّل إلى خبر أسال حبرا كثيرا في الصحافة العربية والعالمية، وتدحرج بأقلام الموافقين والمعارضين ككرة ثلج، وسببه أن إدارة معرض فرنكفورت قررت إلغاء حفل تسليم الجائزة لأسباب لم تُقنع حتى أصحاب هذا القرار. فما الذي خبّأته هذه الرواية النحيلة في أثواب صفحاتها لتفتكّ الاعتراف المتواتر بقوّتها من جهة ثم تثير جدلا يشكك في مضمونها ويدينه من قبل المباركين خطوةَ معرض فرنكفورت، ولكن دون الاعتراض على قيمتها الفنية؟

تنطلق الرواية من خبر التقطته «عدنية شلبي» كشفت عنه شهادةٌ بصحيفة «هآريتس» عن ثمانية عشر جنديا إسرائيليا مع ضابطهم اغتصبوا فتاة بدوية في صحراء النقب ثم قتلوها بدم بارد في شهر أغسطس من سنة 1949 أي بعد سنة واحدة من النكبة. وحُكم على الجنود بعد الجريمة بسنتين بأقل من ثلاث سنوات سجنا بينما حكم على الضابط بخمس عشرة سنة قابلة للاستئناف. من هذا الخبر الذي يبدو «تفصيلا ثانويا» مقارنة بالفضائع التي حدثت بعده ولا تزال تحدث، بنَتْ الروائية الفلسطينية روايتها من قسمين. تدور أحداث القسم الأول في مكان وزمان وقوع الحادثة أي في صحراء النّقب يحكي لنا فيها الراوي العليم عن يوميات ضابط بلا اسم مع وحدة من الجنود مهمته تطهير منطقة جنوب النقب المتاخمة للحدود المصرية من البدو الذين يسكنونها مع إعطاء أوامر حاسمة بقتل كل من يضعه حظه العاثر في مرمى نيران هذه الوحدة العسكرية. وبلغة محايدة بضمير الغائب تتوالى الأوصاف الدقيقة المهتمة بأدنى التفاصيل ليوميات هذا الضابط ترصد خرجاته الاستطلاعية اليومية بل وطريقة استحمامه ولامبالاته بلسعة عنكبوت على رجله تلتهب وتتعفن وتتقيّح. وفي واحدة من الجولات الروتينية يسوق القدر عائلة بدوية إلى طريقه فيبيدها مع جِمالها كما تعوّد أن يبيد الحشرات بل حتى الفراشات في خيمتهَ، ولا ينجو من رصاص جنوده سوى فتاة بدوية وكلبها - ويا ليتها ما نجت - حيث يسوقها إلى معسكره ويغسلها بخرطوم المياه بطريقة مهينة تحت أنظار جنوده وقهقهاتهم، وفي السهرة يضع جنوده أمام خيارين «إما أن يرسلوا بالفتاة إلى المطبخ للعمل هناك، أو أن

يعبثوا بها جميعهم» وبالطبع فالنتيجة محسومة، وهل من خيار يملكه خروف ضعيف تحاصره مجموعة من الذئاب الجائعة المهتاجة. وتلاقي الفتاة مصيرها اغتصابا وقتلا لتستمر بعدها الحياة في مخيم الوحدة العسكرية ويستمر نزيز اللسعة في رجل الضابط قيحا وصديدا.

وبعد نصف قرن بتمامه تبدأ أحداث القسم الثاني على لسان فتاة فلسطينية في الخامسة والعشرين من عمرها تعيش في رام الله تصرفاتها غريبة يشوبها القلق وبعض الاهتزاز النفسي، تقرأ في الصحف عن حادثة الفتاة البدوية ويلفتها تفصيل ثانوي وهو أنها وقعت في 13 أغسطس 1949 أي قبل خمس وعشرين سنة بالضبط من تاريخ ميلادها. فيتملّكها هوس معرفة الحقيقة كما حصلت لا كما رواها الصحفي في جريدته، فتبدأ رحلة محفوفة بالمخاطر لتصل إلى مسرح الجريمة في بلد مقسّم إلى مناطق يشار إليها بالأحرف الألفبائية، لا يسمح فيه لساكن المنطقة ألف دخول المنطقة باء إلا للضرورة القصوى، فتستعير هوية صاحبتها الزرقاء التي تتيح لها التسلل إلى القدس ومن بعدها إلى النقب، وفي الطريق إلى القدس تصف لنا عدنية شلبي التغيّر الكبير الذي حدث في معالم الأرض والذي صاحبه بالضرورة تغيّر ديمغرافي يظهر حتى من خلال الطريق التي ارتفعت على جانبيها جدران من خمسة أمتار «تليها مبان جديدة كثيرة، تجمعت في مستوطنات لم تكن موجودة من قبل أو كانت شبه غير مرئيّة، بينما القرى الفلسطينيّة التي كانت هناك، اختفت غالبيّتها» وتصل في نهاية المطاف متجاوزة خطر الحواجز العسكرية على الطريق إلى مكان الجريمة الذي تحوّل إلى منطقة عسكرية محظورٌ الدخول إليها تجاورها مستعمرة، وحين تلاحق الفتاة رغبتَها الملحة بمعرفة الحقيقة وإعادة بنائها تجد نفسها وجها لوجه مع سلاح الجنود الموجه إليها و«فجأة، يغمرها ما يشبه الحريق الحاد في يدها ثم صدرها، يليه أصوات إطلاق نار».

رواية أبطالها بدون أسماء ولكن أسماء القرى الفلسطينية التي اختفت حاضرة فيها عصيّة على النسيان، لغتها التي تلاحق التفاصيل الصغيرة مثل بطلة الرواية التي تركز على «أشدّ التّفاصيل ثانويّة، كالغبار على المكتب أو خراء الذبابة على اللوحة، وتراها السّبيل الوحيد للوصول إلى الحقيقة، إن لم تكن الدليل القاطع عليها» كتَبتْ لهذه الرواية النجاح واصطياد الجوائز إلى أن اصطادتها اللحظة الراهنة وأدخلتها بازار الجدل، وكان يمكن لها أن تكون تتويجا ثقافيا عاديا لولا أن أكبر معرض عالمي للكتاب ارتأى «إلغاء حفل توزيع الجوائز» فحسب الجمعية المانحة «لا أحد يشعر برغبة في الاحتفال في الوقت الحالي». ولم يكن هذا الخبر الذي أراده المنظمون ليمرَّ عاديا وهو يحمل في طياته تحيّزا فاضحا للسياسة على حساب الأدب، ومثلما عارض كثيرون منح الجائزة بتهمة معاداة السامية الجائرة، ساندها كثيرون أيضا وقّعوا على بيان نشرته مجلة ArabLit ترى فيه أن «إلغاء الفعاليات الثقافية ليس هو السبيل للمضي قدمًا». وكان من ضمن الموقعين بعض الحائزين على جائزة نوبل مثل البولندية أولغا توكارتشوك، والتنزاني عبد الرزاق قرنح، والفرنسية آني إرنو. وكم كان نبيلا موقف الفيلسوف السلوفيني «سلافوي جيجك» الذي رأى في كلمته أثناء افتتاح معرض فرنكفورت أن تأجيل حفل تكريم الروائية عدنية شبلي في المعرض قرار شائن، مُطلقًا صرخته «لست فخوراً فقط بالتواجد هنا، لكن أشعر بالخجل أيضاً». في إدانَة لاغتيال الفتاة البدوية في صحراء النقب مرتين، مرة بيد الجنود الذين تسلّوا باغتصابها ثم قتلِها، ومرة ثانية على يد الديمقراطية الغربية ممثلةً بإدارة معرض فرنكفورت الّتي منعت الرواية التي تحكي قصتها من تكريم مستحق. ورغم التراجع النسبي لمدير المعرض نتيجة اعتراض بعض ذوي الأحجام الفكرية الوازنة ومقاطعة اتحاد الناشرين العرب وهيئة الشارقة للكتاب وجمعية الناشرين الإماراتيين، يبقى التحيّز وصمة عار كان يجدر بمؤسسة ثقافية عالمية أن تنأى عنه. وكم هو صحيح وراهن ذلك الشعار الذي خطه على الجدران أعضاء مستوطنة نيريم في النقب سنة 1948، كما جاء في الرواية: «ليس المدفع الذي سينتصر، إنّما الإنسان». فما حدث في معرض فرنكفورت ليس تفصيلا ثانويا.

سوسن دهنيم

ماذا لو؟

ماذا لو اضطررت لكتابة اسم طفلك على يده كي تعرف هويته إن تلاشى كل شيء سوى كفه؟

ماذا لو نام طفل واستيقظ في عالم آخر لا يعرفه لأنه ببساطة رحل عن هذه الحياة؟

ماذا لو ظللت تصرخ وتعلي صوتك بكل عزة وكرامة لكن اكتشفت أن من حولك صم يظنونك تضحك ؟

ماذا لو شاهدت مسلسل «الموتى السائرون» وشعرت أنك تعرف هؤلاء» الزومبي» الذين يقتاتون من لحوم البشر؟

ماذا لو ظللت تقاوم سارقا نهب حقك لكن أحدا لا يلتفت لوجعك بل يلتفتون لطريقة محاولتك استعادة ما هو لك؟

ماذا لو كتب طفل وصيته ووزع حاجياته وألعابه لكنه أكد على ضرورة غسيل ثيابه قبل التبرع بها، ليكون الشهيد التالي؟

ماذا لو شعرت فجأة أنك غير قادر على الضحك وكأنه فعل خيانة، غير قادر على ضم طفلك لأن أرواح أطفال قتلوا بدم بارد تتقافز في ذاكرتك وصور جثثهم الملطخة بالدماء تكاد تجعلك لا ترى صورا غيرها؟

ماذا لو شعرت بالوجع وأنت تطعم طفلك أو تحممه أو تشتري له لعبة جديدة أو تقبله لأنك تذكرت أطفالا فقدوا كل عوائلهم وليس آباءهم وأمهاتهم فقط، ولم يعد لديهم من يحضنهم أو يتحدث إليهم أو ينظر لانكسارهم فيصلحه؟

ماذا لو مررت بصورة وسمعت الصراخ منها برغم كونها صامتة لكن صوت الصبي فيها مايزال يتردد في أذنك: يا الله يا الله يا الله!

ماذا لو شربت الماء وغصصت به لأنك تذكرت صورة طفل يجمع ماء المطر بعد أن كان يجمع ماء منسكبا في الشوارع ليروي ظمأه وظمأ أهله؟

ماذا لو هربت لسريرك لكنك تخيلت طفلا يحاول ترميم خيمة متآكلة تكالب عليها المطر فعزّ على قاطنيها النوم والجلوس بأمان؟

ماذا لو شاهدت طفلا يبكي أخاه بعد استشهاده لكنك فوجئت بعد أيام بكونه الخبر في قصف جديد ؟

ماذا لو تمنيت أن تكون في كابوس لأن الواقع أبشع من كل الكوابيس وأفلام الرعب والدراما؟

ماذا لو شعرت بغصة لا تتلاشى، تخرس صوتك وتكتم أنفاسك لكنك مضطر للاستمرار في وقوفك في ذات الموقف وذات المكان لأنك أصبت بالشلل تجاه كل هذا الوجع الذي تعيشه بقعة صغيرة تكالبت عليها الدول؟

ماذا لو كان كل ما ذكر أعلاه حقيقيا وعشته كما عاشه غيرك لأن غزة تقصف وتعاني ويستشهد أطفالها في كل دقيقة كما يفعل آباؤهم وذويهم في ظل صمت رسمي عالمي وشجب لا يسمن ولا يغني من جوع ولا يروي عطش بعد أن عز الماء فيها ونفد الطعام واختفى كل الأمان، بل وقصفت كل الأماكن لتبقى ذكريات مشوشة تحملها أرواح مهشمة وقلوب نازفة لكن بإرادة متقدة؟

صنـــــدوق ثقيـــل

جنان العود

دعني أمر،
أعدك أن أمشي برفقٍ
أزح أكوام الحجارة، اللّعب الملونة وصحون
العشاء الأخير، على مهلٍ أزحها
أزل الحطام الرمادي
الركام عن العظام
وامسح جبينك..

***

في الخلف أنين بعيد
لا أعرف إن كنت أحلم
هل أقف على الأرض حقا؟
هل اسمها أرض؟
لا أعرف.. على العموم لديّ هذا الصندوق
الكرتوني الثقيل.. أتأبطه حذراً من أي شيء
فقط دعني أمر.. يقول هذا الفلسطيني

***

قبل أن تحاصرني نظرة طفل خائف
أو ذراع مبتورة لجار طيّب
أو حبل سري لملاك مسافر
قبل أن يبرد رغيف الخبز على فرن الطين
وأن يهطل المطر فتنتشر رائحة الموت
قبل أن يمتزج الزعتر بالتراب فيصير دماً
قبل أن تبتل أقدام الصغيرات
أرجوك دعني أمر،

***

«هيه يا هذا، هل لديك خبز أو ماء في هذا
الصندوق؟ يسألني أحدهم
في الصندوق،
أحمل قلبي
أأخذه بعيدا عن عيون الموت
دعني أمر لأزرع قلبي
في بيت لاهيا أو في رفح أو على تخوم جباليا
سأمضي نحو حقل الشمس
في نزهتي الأخيرة مع طفلي..
أغرس أشلاؤه شتلةً شتلة قرب زيتونة
حنونة.

وخـزةٌ فـي الخـاصـرة

نادية الملّاح

رفعوا الأجداث بلا كفن
قربانا للأرض وللعزّة

من قلب الرؤية حتى آخر عتمتنا
من عمق النزف إذا جرح هزّه

تسخر منّا أشلاء المعنى
وكرامتنا في صمت مبتزّة

عاثوا في طهر الأرض وفي الأرواح
وأدوا التاريخ بنيرانٍ جرزة

تحت الانقاض هنا قبرٌ يبكي
ينعى من عاش ولا شيء فزّه

ينعى من للإسلام هم انتسبوا
ينعى إنساناً بالهيئة والبزّة

ما اللوم على لغةٍ او دينٍ
أين الإنسانية فينا والعزّة

شرف الأعراب غدا رهن
والدين صفوف مندسّة

ضعتم ياعرب فما العذر
للتاريخ ستدويكم غزّة

العائـــدون مـــن الحـــرب

سماء عيسى *

لا أعرف ماذا يحمل العائدون من الحرب
على ظهورهم الكثير من المتاع
ربما كثير من الجراح أيضا.

أحدهم تذكر أباه الميت عندما وصل القرية
لكنه لم يجد الدموع
التي تجعله قادرا على النسيان.

وعندما وجد أحدهم أن حماره العجوز
لم يعد قادرا على حمل متاعه إلى الحقل
اقترح اطلاق سراحه
ليموت جوعا وعطشا في الصحراء.

أحدهم بكى حين عرف أن نار الليل
ما زالت تضيء ،وأن نجوم السماء ما زالت تشرق
كعيون الأطفال ،متجولة في السماء كفراشات الفجر.

لا يتحدثون
هكذا علمتهم الحرب
أن يكونوا صامتين أبدًا.

العائدون من الحرب
انتظرتهم الأمهات والآباء
حتى وهم يزحفون في التربة
حتى وهم رؤوس دون أجساد
أجساد دون رؤوس.

* شاعر من عُمان

ثـــلاثـــة نصـوص للدمـاء

عبدالحميد القائد

1

طوفانُ الأقصى
حلمٌ يَنداحُ ويَطغى
جاءَ الأملُ أخيرًا يَمشِي
يَسعى
شَمسٌ في الأقصى تَتعالى
وهجٌ يبزغُ في كل الدُنيا
لا وقتَ الآنَ لغيرِ العزّة
لغيرِ النارِ تعيدُ الحق
تضرمُ صدرَ الأعداءِ وتحيا
هذا العصفُ فداءً للقدسِ وللأقصى
فارفع رأسكَ يا عربي
فلسطينُ وراءَ القلبِ تدقُ الأبوابْ
الشعبُ يوقظُ كل الأهدابْ
طوفانُ الأقصى يقتلعُ الجدران
تنتفض الحُريةُ وتبقى
طوفانُ الأقصى عُنوانُ الغَد

2

وجهُ فلسطينُ الفِردوس
يصعدُ الشهداءُ إليه تِباعًا
قالت الطفلةُ: لا تُكَفِّنِيني يا أمَّاه
ترابُ غزةَ رِدائي
اعصري على جَسدي برتقالَ يافا
سوف نعودُ كالملائكة
لنروي أرضَنا عطرَ الشُهداءِ
أنا رأيتُ في طريقي إلى الجنانِ
طيورًا ملوّنةً
تُرافِقني
تُصاحِبني
خارجةً من كَفني
وأنا المقتولةُ دُونَما دمعٍ
عِشق فلسطينَ مهجتي
لم يغادرْني
فأنا لا أغادرُ نفسي ولا وطني

3

غزةُ عُروسُ الأسماء
هي الأبجديةُ
هي اليَاء
يعدو المُجَاهدونَ كالسِلسِلة
ينادونَ العالمَ من أعماقِ الزلزلةِ
هل تسمعونَ صوتهم
فلسطينُ قرنفلةٌ تحوّلت دماءْ
تصرخُ يا إنسانُ يا إنسانْ
يا عالَمًا يموتُ من أزمانْ
في الريحِ تنشجُ
وفي العراءِ
يمضونَ وحدَهم يمضون
يأتونَ وحدَهم يأتون
لكن عبراتِ غزةَ بندقية
تكتبُ النصرَ على جِباهنا هدية

التقدمي

التقدمي العدد 193 ـ ديسمبر 2023 السنة 21 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

المقاتل

إيمان أسيري

عندما يكون الزيت والزعتر
عشاءً أخيراً
سيسري بك كابوسٌ ليلي
في أروقة عالية
يقف، سمسار الحرب،
يقايض، أجساداً فتية بحقنة من الأفيون
ارتاحت الفكرة على ساعديه
سلّم اللهب عزمه الخفي
روّض الضلالة اللافحة قلبه
هذا زمن المقاتل
بين ربيع السواقي
وعويل الرقص
ارتاحت على الأراجيز
دموع ناقصة
فجأةً
أصابته شظية جانحة
واهن برهة
جرحه زاده
وإله الحرق يغرز في القلب رتاجا وفي الأصابع
نارا
هل هذا رامي النار

أصابته شظية جانحة؟
غربة الوجد في هذي الروابي
طليق بين الحدائد والنار
أيقظته سيادة الدفء
نسي أنه المزدهر
بين رأسه الخانعة للقصف
وروحه القافزة بين الأنفاق.
تذكّر:
للرفقة رمح ولحظة انصاع فيها للدردشة،
قد يأتي تصحبة الألفة، صديق عوده عمود
النور لهذه البوابة، التي ما فتئت تقبل الرصاص،
وسحره يتجلى على علو أبعد من ترويض
هذا الكلب القائد لفصائل الدم المعيثة فسادا
للطفولة .
بين السواقي ألقوا برفقته
ماطل في النهوض
هذه الأنباء عودته الصهر في حلقاتٍ لا آخر لها
خذ حذراً
من بين الأنقاض
تأتي امرأة مجدولة الشعر،
أصابعها مخنصرة بخاتم للزواج

وعلى الرأس بؤبؤ العين الباقية
وفي القدم ظفر بلا إصبع
ينزّ هديل دمٍ للذين لم يراقصوا عميد الموت في ..
خذ حذراً
هذا المقاتل يبتهل
إنه قادم خارج من حدود السنين
مهاجر يردي التاريخ
هذا المقاتل يبتهل
كحين اقتلاعك لجذر الشجرة العجوز
تدمي أصابعك
وتحس بوقع الأفاعي على جسدك
وتنز أنفاساً عميقة حارقة لبقايا وقتك
جاءك هذا المقاتل يبتهل
هدير وسط الديار، شبيهٌ بتقاسيم هذي الأرض
وجل من أخبارها
يهم بالمغادرة
فاطمة شريدة فوق هذه العوارض
بين الفتية وشوارع الدم
ضوأت قنديلها
فاطمة
يالعينيك الجميلتين
متسعاً للدفء
مأمناًواحتضاناً لوجعي
أحقاً
هذا الوطن استشرى بالورید ذهباً
يا صوتك العالي
شريعة لي بأرض خربة
فاطمة
تعالي دنس أنا بالأعنة
لكنني قائدها.

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com